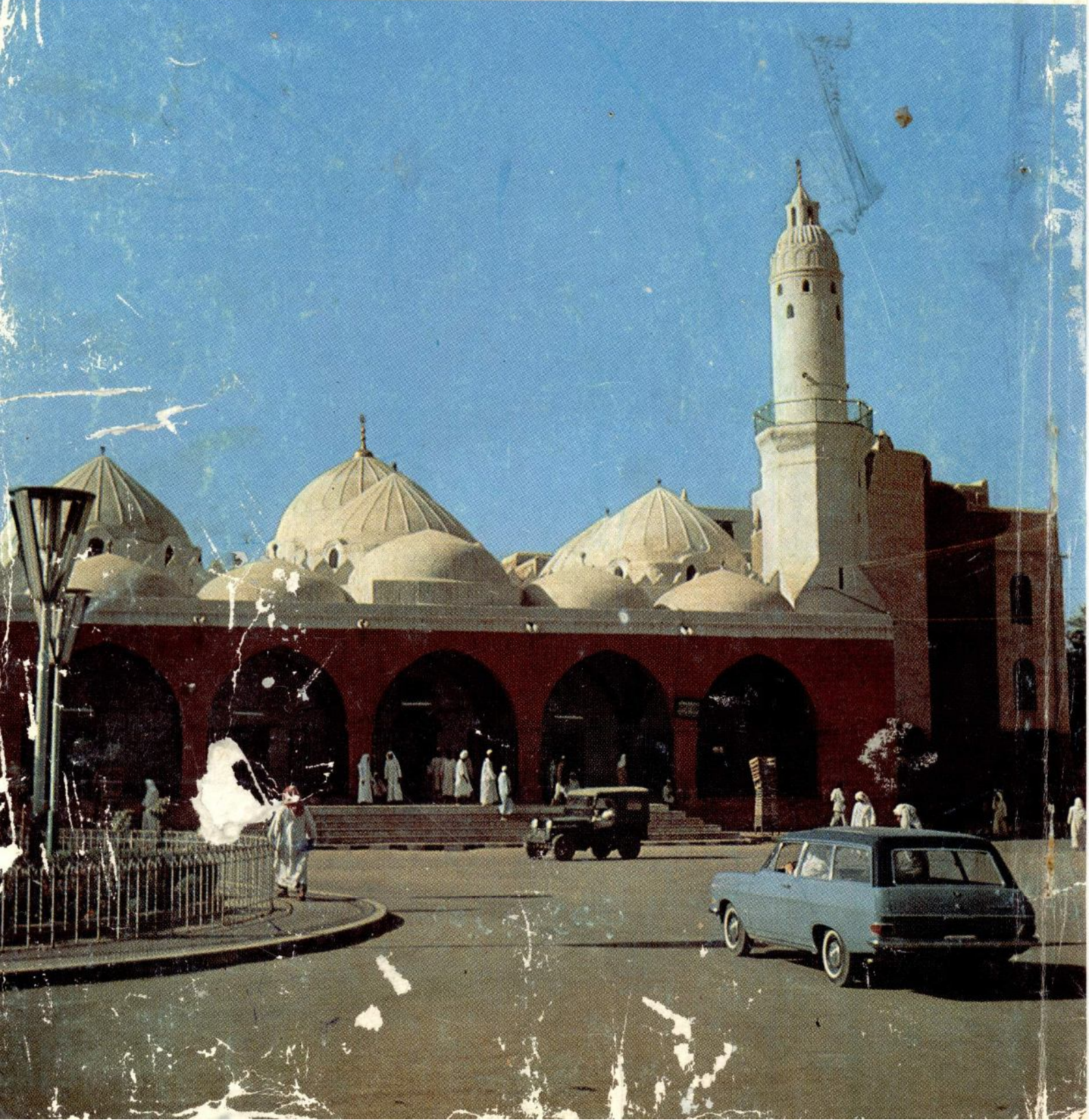


الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

اطلب
((رسالة الحج))
هديتك مع هذا
العدد

السنة الأولى - العدد الحادي عشر - غرة ذي القعدة سنة ١٣٨٥ هـ - ٢٠ فبراير ١٩٦٦ م





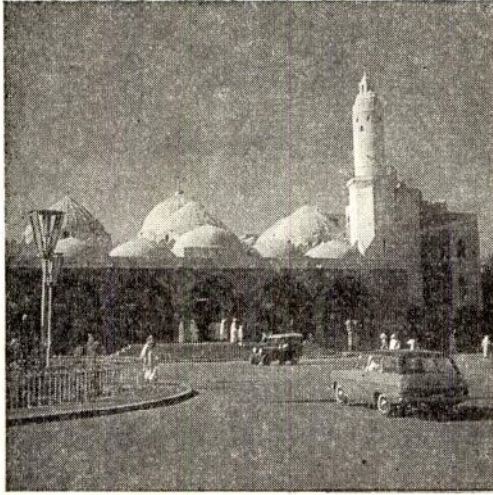
((قصة العدد))

عمير بن وهب

اقراء في
هذا
العدد

٥	رئيس التحرير	أخي القارئ
٩	المستشار الثقافي	الحج الى بيت الله الحرام
١٢	فضيلة الشيخ محمد محمد المدني	مناهج التفكير في الشريعة الاسلامية
١٦	الاستاذ احمد حسين	الاسلام ورسوله وتعاليمه
٢٤	الاستاذ محمد حميد الله	هل تأثر الفقه الاسلامي بالقانون الروماني
٢٨	الاستاذ محمود الجرف	خواطر وأشواق (قصيدة)
٣٠	الاستاذ مالك بن تبي	الحادث والتاريخ
٣٢	لفضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكي	احمد بن حنبل
٣٨	التحـــــــــــــــــريـــــــــــــــــر	بل صحيح البخاري أصح الكتب
٤١	فضيلة الشيخ محمد محمد الشراوى	العمرة
٤٤	الاستاذ ع. ن	خواطر
٤٦	الاستاذ حسن الشيرازي	الاسلام بين العلم والاستشراق
٥٢	التحـــــــــــــــــريـــــــــــــــــر	مائدة القارئ
٥٤	الاستاذ محمد شمس الدين	تطور القضاء عند العرب
٥٨	الاستاذ محمد الفايز	الرسول العظيم (قصيدة)
٦٢	الدكتور سالم نجم	الخمر والمجتمع الاوروبى
٦٦	الدكتور محمد ابو شوك	ابن سينا
٧٢	التحـــــــــــــــــريـــــــــــــــــر	في جوار الله
٧٤	اعداد ادارة الشؤون الاسلامية	موريتانيا
٨٠	التحـــــــــــــــــريـــــــــــــــــر	الفتاوى
٨٢	الاستاذ لطفى ملحس	عمير بن وهب (قصة)
٨٦	التحـــــــــــــــــريـــــــــــــــــر	قالت الصحف
٩٠	التحـــــــــــــــــريـــــــــــــــــر	بأقلام القراء
٩٤	التحـــــــــــــــــريـــــــــــــــــر	بريد الوعي
٩٦	التحـــــــــــــــــريـــــــــــــــــر	الاخبار

صورة الفلاف



مسجد الفمامة بالمدينة المنورة
ويقع في نهاية شارع المناخة بالمدينة
المنورة تصوير العربي

التمن

فلسا ٥٠	الكويت
ريال ١	السعودية
فلسا ٧٥	العراق
فلسا ٥٠	الاردن
قروش ١٠	ليبيا
درهم ١	المغرب
روبية ١	الخليج العربي
فلسا ٧٥	اليمن وعدن
قرشا ٥٠	لبنان وسوريا
مليما ٤٠	مصر والسودان
١٠٠ مليم	تونس والجزائر

الاشتراك السنوي

في الكويت ١ دينار للهيئات
وما يعادل ذلك في البلاد الاخرى
مع اضافة اجرة البريد
اما الافراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل في قطره

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الحادي عشر السنة الاولى

ذي القعدة سنة ١٣٨٥ هـ

٢٠ فبراير ١٩٦٦ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت في غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما
ينشر فيها من آراء

المشرف العام

عبد الرحمن المحجم

رئيس التحرير

عبد المنعم المنذر

مدير التحرير

علي عبد المنعم

سكرتير التحرير

رضوان البيلى

مجلة الوعي الاسلامي - وزارة الاوقاف والشئون
الاسلامية الكويت ص . ب ١٣ - هاتف ٢٢٠٨٨

عنوان المراسلات :

أخي

القاري

الدين شيء والسياسة شيء آخر

تلك قضية يطلقها في عالمنا الاسلامي كثير من الناس ، يريدون بها ان الدين لا دخل له في سياسة البلد ، وتنظيم حياتها ، وعلاقاتها مع غيرها ، وعليه ان يخلى الطريق في ذلك للسياسة ، تسير فيه كما يحلو لها ، ويتخذ له طريقا آخر بعيدا عنها ، في ركن او محراب !!

ويذهب الكثير منا الى القاء تبعه شيوع هذه الفكرة على المجتمع الغربي، وما ورثناه او اخذناه عنه من نظم وافكار . ذلك ان هذا المجتمع ، ضج في وقت من الاوقات من تدخل رجال الدين المسيحي ، في امور السياسة ، وتحكمهم في كل شيء ، حتى كان البابا يصدر قراراته بحرمان اى ملك او امبراطور ، او عالم يخرج على اوامر الكنيسة او يقرر حقيقة لا تراها ، فيهوى الملك من فوق كرسيه ، لا رجلا عاديا ككل الناس ، بل رجلا يبنده كل الناس ، لان البابا قد غضب عليه ، وبالتالي غضب الله عليه . فلما قامت الثورات في اوربا ، وفي مقدمتها الثورة الفرنسية ، كان من اهم اهدافها التخلص من تحكم رجال الدين ، والعمل على حصار نفوذهم ، داخل كنائسهم ، وترك العمل خارجها لرجال آخرين ، بعيدين عن الكنيسة ونفوذها ، يصرفون امور الدولة حسب آرائهم غير مقيدين بآراء الدين ورجاله . . .

وقد تم لاوربا الثائرة على نفوذ الكنيسة ما ارادت ، وحصل رد فعل عنيف للمرارة التي خلفها تحكم رجال الدين في شؤون الحياة ، وتمثل ذلك في عزل الدين ورجاله عزلا تاما عن سياسة الدولة ، وتنظيم امورها في الداخل والخارج ، واتخذوا شعارهم ((اتركوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله)) .

ثم انتقلت الينا هذه الفكرة مع ما نقلناه من اوربا من مفاهيم ونظم دون وعي واصبح الفصل بين الدين وسياسة الدولة كأنه امر طبيعي ، واصبح الكثير منا يردد في اقتناع ((اتركوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله)) دون ان يدركوا ان الاسلام انما هو تنظيم عام وشامل لعلاقة الانسان بربه ، وعلاقته مع الآخرين ، وأنه تكفل بهذا التنظيم في كل ناحية من نواحي الحياة ، وفي حالتي الحرب والسلم معا . .

ثم أنهى كل ما تردد في الاخذ بهذا التنظيم ، حين قال ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)) .

وإذا كنا نقول مع القائلين بأن الفصل بين الدين والحياة مفهوم وارد لنا من الغرب ، فإننا لا نقف عند هذا القول ، اننا نقول ان هذا صدق ولكن ليس كل الصدق . ان هذا جانب من الصورة لكن هناك جانب آخر يجب ان نعرفه كحقيقة من حقائق تاريخنا الماضي وآثارها في الحاضر .

لا نريد ان نبالغ ، ونلقي تبعة كل عيب فينا على غيرنا ، فان ذلك قد يخفي عنا عيوبنا ويسدل ستارا كثيفا عليها ، يحول بيننا وبين معرفتها ، فنعيش بها دون ان نعالجها ، ونقضي عليها . . .

إذا كان من الحق ان نقول ان هذا المفهوم هو بعض ما وفد علينا ، او استوردناه من مفاهيم او أنظمة غريبة ، فان من الحق كذلك ان نقول : ان هذا الفهم الوافد لم يكن ليأخذ طريقة الى النفوس ، وسيطر عليها كما يسيطر الآن ، لو لم يجد أرضا مهياة من قبل لتقبله ، ويوجد من يتعهده بالسقي والعناية منذ زمن ، حتى نما وترعرع ، ومد فروعه وظلاله هنا وهناك . .

ان الشجاعة التاريخية الأدبية تحتم علينا ان نقول ، اننا نحن الذين مهدنا الأرض لتقبل هذه المفاهيم

كان حكام المسلمين - منذ قرون مضت - قد بعدوا في تصرفاتهم عن احكام الاسلام ، وتحلوا من انظمتهم ، ان لم يكن كلها فأغلبها ، حين لم تهضم نفوسهم ، ولم يرض غرورهم ورغبتهم في السيطرة ان يتقيدوا بالنظم والمبادئ والآداب الاسلامية في مباشرة سلطاتهم ، ومعاملة رعاياهم . . تلك المبادئ التي تلزمهم بالشورى والعدل والتسوية بين الرعية ، وحسن التصرف في شؤونها وأموالها . . فأصبح كل واحد منهم يتصرف حسب هواه ، لا حسب رأى الدين . لا يعرف الدين واحكامه الا اذا وجد في ذلك مصلحة له تؤيد حكمه ، او تدعم رأيه ، او حين يحتاج الى التفاف الشعب حوله .

فكانوا يستغلون الدين ورجاله في مآربهم الشخصية ، حتى اصبح وأصبحوا سلعة يقبلون عليها حين يحتاجونها ، ثم يهملونها حين لا يكونون في حاجة اليها . . كان الدين كالشوب المعلق على ((شماعه)) يلبسونه ويتدثرون به في مواسم او ظروف خاصة ، ثم يتركونه ويعيدونه الى ((شماعته)) يعلوه الغبار !! .

وأصبح رجل الدين ، او بالأحرى الرجل الذى تخصص في امور الدين ، لا مكان له الا في محراب المسجد ، ينظر اليه المجتمع كما ينظر الى رجل متخلف ((ثقيل الدم)) لا يهتم به ولا بتوفير الحياة الكريمة له كما يهتم بغيره . .

وأصبح القرآن الكريم لا يعني به الا للبركة ، أو للأحجبة ، او للقراءة على الأموات ، او الاستماع اليه من قارئ حسن الصوت . .

وكان هذا - مع الأسف الشديد - هو الذى هيا الأرض جيدا ، لتقبل هذه البذرة الوافدة ونموها ، وأتاح للمستعمرين حرية التصرف ، ليعبدوا الدين تماما

عن الحياة ، ويزيدوا من ضعفه في نفوس المسلمين ، وتعلقهم به حتى يطول مكثهم ويصفو الجو لهم ولعملائهم ، فعملوا على بث هذه الفكرة في الكتب الدراسية وغيرها حتى أصبحت في اذهان الجيل الذي تربى في اجوائهم ، كأنها من البدهيات التي يستهجن الخروج عليها ، وحتى أصبح كل من يتحدث من العلماء في مبدأ من مبادئ الاسلام يتصل بحكم الشعوب وادارة امورها مت دخلا فيما لا يعنيه ، (أى في السياسة) . . اذا كان هذا الحديث لا يتفق مع رغبة الحاكمين . . ومن تدخل فيما لا يعنيه لقي ما لا يرضيه . . ذلك لأن الدين شيء ، والسياسة شيء آخر !!

واذا نقد وضع اجتماعيا شاذا لا يتفق مع آداب الاسلام ، وتعاليمه سلط عليه الماجنون السننهم ، وأقلامهم حتى يعود الى محرابه . .

وكانت تبعة الذين مهدوا الارض لتقبل البذرة الوافدة أشد ممن جاء بعدهم وألقى البذرة في الأرض الممهدة .

لكن كل هذا تقييم للتاريخ ورصد له . ، وأولى بنا الآن ان نجابه الحاضر معا . . لست أدعي انني اكثر غيرة على الدين وتعاليمه ، وعلى مصر شعوبنا وكيانها ومستقبلها من غيري من المسئولين عن هذه الشعوب . . فذلك احتكار لا ارتضيه لنفسي ، ولا لغيري . . فكلنا ابناء الاسلام ، وكلنا غيارى عليه . .

لكن قد تكون هناك حجب من الماضي ، او عقبات من الحاضر . . ولا بد ان نتعاون جميعا في ازالة هذه الحجب ، والقضاء على هذه العقبات ، ولو بالتدرج تقديرا لظروف وجودها ، . . حتى نتلاقى جميعا على بدء الطريق ، الذي يجب ان نسير فيه متكاتفين يشد كل منا على يد أخيه في سبيل توفير حاضر اسعد ، ومستقبل أرغد لهذه الأمة في ظل من مبادئ الاسلام ، ورضاء من الله . .

ولا بد لنا من اجل هذا كله ان نفهم جيدا ان التحضر والتمدن والترقي ليس في تقليد الغرب في مبادئه ، وتقاليد الخارجه على الدين ، حتى على الدين المسيحي الذي يدين به . . ، ونفهم كذلك ان ديننا لا يحول بيننا وبين الرقي العف والتمدن غير المتبدل ، بل يوجب علينا ان نتعلم كل علم ، وفن ، ونكون سباقين اقوياء في كل ميدان من ميادين الحياة . . .

ونفهم ان رقي أمة لا يقاس فقط بما وصلت اليه من تقدم في مضمار العلوم والمخترعات والآلات ، ولكن يقاس أولا بالروح الفاضلة التي تكمن وراء هذه المظاهر وتوجهها الى خير الانسانية .

وان الاسلام الذي تحمل رسالته ، هو الدين الذي يحقق للانسانية تقدمها المادى ، والروحي معا .

وان العالم في أزمنته الروحيه الراهنة ، ووسط ضجيج الآلات ، وزمجرة الطائرات ، ودوى القنابل في مسيس الحاجة الى ان يقدم له المسلمون العلاج مما يعانيه عن طريق الرسالة التي يحملونها . .

وأنه لا بد لهم لكي يضطلعوا بمسئوليتهم تجاه دينهم ، وتجاه العالم حولهم ان يقدموا للعالم النموذج الحي الخير ، الذي يصنعه هذا الدين لأتباعه . .

ونفهم ان ديننا يهدف في كل تشريعاته الى تيسير الحياة ، وتحقيق مصالح المجتمع ، وتوفير السعادة والاطمئنان له ((يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)) .
وان ما نراه احيانا من صعوبة الأخذ باحكام الدين ، انما هو تهيب ولدته فينا النظم الغربية التي تعودناها ، ورتبنا حياتنا عليها زمنا طويلا . .

وان هناك من المبادئ والنظم الجديدة على العالم ما استطاع المؤمنون بها ان يفرضوها على امم لم تكن تعرفها ، ولم تلبث ان صارت نظاما جندوا لحراسته والدعوة اليه كل امكانيات الدول التي آمنت به .

وان المسلمين حين يعتقدون العزم ، على احياء مبادئ الاسلام في النفوس لا يحاولون جديدا ولا يتكلفون امرا صعبا او غريبا ، فليس احب الى المسلمين من العودة الى دينهم ، وتحكيمه في امورهم .

ان مما لا شك فيه ان هناك فجوة ، او فراغا في النفوس يملؤها بالحسرة والالم والتطلع . فالقرآن الكريم ، وسنة رسول الله ، وأفعال السلف الصالح ، وأمجاد المسلمين الأول ، كل ذلك يتردد على مسامعهم صباح مساء فيفهمونه ، وينظرون الى الحياة حولهم . فيحسون الفجوة بين ما كان وما هو كائن . . . ويتطلعون حولهم الى من يملؤها ، ومن الخطر على دينهم ، وعلى المجتمع ، ان تبقى هذه الفجوة ، ويستمر هذا التطلع فربما حملهم ذلك على التماس ما يريدون من طريق آخر ، غير طريق الاسلام . وهذا هو الخطر الاكبر الذي كاد يحقق بدول اسلامية ، لولا ان تنبعت له ولكنها لا تزال تعاني آثاره . .

ان من الخير كل الخير للذين يسيطرون على الشعوب الاسلامية ان يقبلوا على علاج الاسلام لأدواء مجتمعاتهم وتحكيمه في كل شئونهم ، حتى يوفروا لأنفسهم الطمأنينة ، ولشعوبهم الراحة والاستقرار بدلا من العلاج الآخر المستورد الذي لا يبقى شره ولا يذر . .

لا أشك في اخلاص مسئول مسلم لدينه ، ولكني ارجو شيئا من الشجاعة والحكمة ، . حتى الذين لا يخلصون لدينهم قدر ما يحافظون على مراكزهم ، اقول لهم حتى المحافظة على المراكز والمال تدعوكم الى اللجوء لبعث الدين في النفوس والتزامكم مبادئه وتعاليمه ، ففي ذلك ضمان لمراكزكم واموالكم من العواصف المدمرة . .

آمالنا وآلامنا كل شيء حولنا يدعونا الى ان نلبي نداء الله ، ونعيش في ظلال دينه ونعتصم به ((ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم)) . .

فالى متى نظل نتأرجح . ونبعد الاسلام عن واقعنا ، وكتاب الله بيننا هدى وشفاء ((ومن التمس الهدى في غيره أضله الله)) .

ماذا نريد بانفسنا . وهذا صوت النذير ؟

رب ان الهدى هداك فاهدنا ووفقنا الى رضاك . .

رئيس التحرير



الحج الى بيته شاكرا

لفضيلة الشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافي لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية

روى الامام مسلم في صحيحه ، عن عبدالرحمن بن صخر رضي
الله عنه قال :

خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (ايها الناس ، قد
فرض الله عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل : اكل عام يا رسول الله ؟
فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو
قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ، ثم قال : ذروني ما تركتكم فانما هلك
من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بشيء فأتوا
منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فدعوه) .

الحج في التاريخ

الحج من الشؤون الدينية التي عرفت
لدى جميع الأمم منذ فجر التاريخ
الانساني ، فما من أمة خلت الا ولها مكان
معين تحج اليه .

فقد كان لقدماء المصريين والبابليين
هياكل مقدسة يحجون اليها ، وللصينيين
اماكن مقدسة يقصدونها للحج ، وللهند
كذلك ، واليونانيون القدماء كان لهم في
بلادهم اماكن يمشون فيها اوقاتا للعبادة
والنسك ، وقد أمر قوم سيدنا موسى
وسيدنا عيسى عليهما الصلاة والسلام ان
يحجوا الى اورشليم .

ويختلف الحج في الاسلام عنه في
جميع الأديان السابقة فقد كان اتباعها
— ولا تزال بقيتهم — يحجون بقصد
التبرك بقبور القديسين وما تركوه من
الآثار والمباني ، وكان افضل الحج عندهم
ما تحمل الانسان في سبيله المشاق
وخاض المهالك ، وكان الكهنة والرهبان
يفتنون لهم في تعيين ضروب المرهقات
البدنية ، فمنهم من يثقل كاهله بالسلاسل
والاغلال ، ومنهم من يمشي على قدميه
المسافات الشاسعة ، ومنهم من يسير
داخل كيس يتعثر فيه كل خطوة وكان
بعض الصينيين يطوفون حول معابدهم
زحفا على بطونهم .

من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا
البائس الفقير . ثم ليقتضوا تفثهم وليوفوا
نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق) .

واما الدليل من السنة : فقد روى
مسلم والنسائي وأبو داود والترمذى
عن ابي هريرة رضى الله عنه قال :
خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال : (أيها الناس قد فرض الله
عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل : اكل
عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها
ثلاثا ، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ،
ثم قال : ذروني ما تركتكم فانما هلك
من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على
انبيائهم فاذا امرتكم بشيء فأتوا منه
ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فدعوه ،
وروى الترمذى وأحمد عن علي رضى
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : (من ملك زادا وراحلة تبلغه الى
بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت
يهوديا او نصرانيا) وذلك لقول الله تعالى
في محكم كتابه : (ولله على الناس حج
البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر
فان الله غني عن العالمين) . وجاء في
حديث بنى الاسلام على خمس قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم (وحج
البيت من استطاع اليه سبيلا) . واما
الاجماع فتواتره لا يحتاج الى دليل .

فالحج في الاسلام ثابت ومن انكره
كان كافرا ، وهو في الشريعة : القصد
الى بيت الله الحرام لأداء ركن من اركان
الدين . وبيت الله الحرام : هو الكعبة
المشرفة (١) فقد من الله على عباده
فعين لهم مكانا وسماه بيته و اضافه الى
نفسه تنزل فيه رحمته ويتجلى فيه

ولكن الاسلام كره ذلك ، وشرط ان لا
يحج الا من كان قادرا على الحج ، ونهى
ان يحمل الانسان نفسه ما يرهقها .
روى ان النبي صلى الله عليه وسلم
رأى هرما يمشي بين ولديه فسأل عن
شأنه فقيل له : انه نذر ان يحج ماشيا
فكره ذلك وقال : ان الله غني عن تعذيب
هذا نفسه ، وأمر ان يحمل على بعير .
وكان هذا منه صلى الله عليه وسلم عملا
بقول الله تعالى : (يريد الله بكم اليسر ولا
يريد بكم العسر) وقوله سبحانه : (هو
اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من
حرج) وقوله عز وجل (ربنا ولا تحمل
علينا اصرا كما حملته على الذين من
قبلنا) .

الحج في الاسلام

الحج فرض عين على كل مسلم ومسلمة
ثبتت فرضيته بالقرآن والسنة واجماع
الامة على فعله منذ ان شرع على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم في
السنة الخامسة وقبل السادسة من
الهجرة الى يومنا هذا ، وسيظل الى ان
يرث الله الارض ومن عليها .

اما الدليل من القرآن الكريم : فقول
الله تبارك وتعالى : (ان اول بيت وضع
للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين .
فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن
دخله كان آمنا . ولله على الناس حج
البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن
كفر فان الله غني عن العالمين) وقال
تعالى : (وأذن في الناس بالحج يأتوك
رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج
عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا
اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم

(١) قال الله تعالى (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس .. الآية ٩٧ من

المطلب ، وكساها اشرف الخلق صلى الله عليه وسلم برودا يمانية ، وكذلك فعل خلفاؤه من بعده واستمر الأمر كذلك الى ان استقر امر كسوتها عن طريق مصر ، وقد مرت بالكعبة المشرفة احداث كثيرة قبل الاسلام ، فقد اعادت جرهم بناءها بعد ابراهيم ، ولما آل امرها الى قصي بن كلاب هدمها وبنائها فأحكم بناءها وجعل سقفها من جذوع النخيل ، وقد حاول الاعتداء عليها ابرهة الحبشي ولكن الله تبارك وتعالى رد كيده الى نحره وحكى ذلك القرآن الكريم في سورة خاصة هي سورة الفيل ، وقبيل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم هدمها السيل فبنتها قريش ، ولما انتهوا الى وضع الحجر الأسود اختلفوا في أى القبائل تختص بشرف رفعه الى محله وكاد الأمر يقضي الى قتال لولا ان حسم النزاع مجيء الأمين سيدنا محمد بن عبد الله اليهم فحكموه فيما شجر بينهم ، فبسط رداءه ووضع فيه الحجر وأمر القبائل فأخذت كل قبيلة بطرف من الرداء ورفعوه فلما وصلوا الى مكانه حملته بيده الشريفة الى مقره وأنهى النزاع . ولما قصرت بقريش النفقة تركوها على ما هي عليه الآن ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعائشة رضی الله عنها (لولا أن قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة فألصقتها بالارض وجعلت لها بابين ، بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها ستة أذرع من الحجر) .

هذه لمحة او فذلکة يسيرة عن الكعبة جر اليها الحديث عن الحج وكان لا بد منها ليلم المسلمون بشيء من تاريخ البيت الذي يؤمونه كل عام استجابة لأمر الله تعالى ، ونسأل الله القادر ان يوفقنا لاداء اركان الاسلام كاملة غير منقوصة ، والله يهب المسلمين نصره وعونه ، ان ربي سميع الدعاء .

رضاه ، وفيه جمع لقلوب الناس في التوجه الى جهة واحدة توحيدا للقصد ، وافرادا للغاية ، وارشادا لهم الى ان المراد هو التوجه الى الله لا الى ذات المكان ، ويدل على ذلك أى على ان المقصود هو الانقياد لله وحده ، ان الايحاء الى ابراهيم عليه وعلى نبينا افضل وأزكى السلام باتخاذ البيت كان مقيدا بنفي الشرك قال تعالى (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا) وكان اول ما طلب اليه هو تظهيره ليكون معبدا يعبد الله فيه عبادة صحيحة ، قال عز وجل : (وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود) . وقال عز شأنه (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) أي معبدا تعبدون فيه ربكم ورب البيت ، وجعل سبحانه الصد عن زيارة البيت كفرا كالصد عن سبيل الله اي دينه ، فقال سبحانه (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد . ومن يرد فيه بالحاد بظلم ندقه من عذاب اليم) . وكان اول شيء فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة فاتحا هو ازالته الاصنام والتمثيل من فوق سطح الكعبة وخارجها ، وكان عددها ثلاثمائة وستين صنما كما حكى كتب التاريخ .

وقد اهتم بالكعبة وكسوتها عظماء العرب ورؤساء القبائل من قبل ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده ، فقد كساها (تبع) ملك حمير قبل الهجرة بما يقرب من مائتين وعشرين عاما ، كساها بالبرود المقصبة وعمل لها بابا ومفتاحا ، وفي زمن قصي من اجداد سيد الخلق كانت القبائل تكسوها ، وكان ابو ربيعة بن المغيرة يكسوها سنة وغيره سنة ، وكستها والدة العباس بن عبد

مناهج التفكير في الشريعة الإسلامية

١ "مواضع الاتفاق"

٢ "الخلاف لا

ان الاحكام التي وردت بها الشريعة
الاسلامية ترجع الى نوعين لا ثالث
لهما : -

النوع الأول : هو ما كان قطعيا ثابتا
في وروده ومعناه، بطريقة لا تحتمل الشك،
وذلك كأصول العقائد والعبادات التي
اتفقت عليها الامة ، وجاءت بها النصوص
واضحة قاطعة ، كوحداية الله تعالى ،
واتصافه بكل كمال ، وتنزهه عن كل
نقصان ، وأن من شأنه ارسال الرسل ،
وانزال الكتب ، وان هناك دارا بعد هذه
الدار يلقي فيها الناس ما قدمت ايديهم
« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن
يعمل مثقال ذرة شرا يره » وان محمدا
صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين ،
وان القرآن هو كتاب الله المبين ، الذي
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،
وان الله فرض خمس صلوات في
اليوم واللييلة ، وحدد على لسان رسوله
وفعله عدد ركعات كل صلاة منها ، وبين

لفضيلة الشيخ
محمد محمد المدني

هذا المقال بدء سلسلة من المقالات يكتبها لنا فضيلة الشيخ الاستاذ الجليل عن
الأسس التي قام عليها اجتهاد الفقهاء وأسباب اختلاف وجهات نظرهم ، ومدى سماحتهم
تجاه مخالفيهم ، وهي أبحاث أحسنا ضرورتها لدى القراء في الوقت الذي ارتفعت فيه
الاصوات لفتح الاجتهاد ، وبذل محاولات في هذا السبيل بغية الوصول الى حل المشاكل
التي يواجهها المجتمع الاسلامي

ومواضع الاجتهاد

يسمع الانصاف

وهذا النوع هو موضع اجتهاد
المجتهدين ، وهو مجال النظر والتفكير
والموازنة والترجيح والاستقراء والتتبع ،
وتقدير المصلحة والعرف وتغير الحال ،
الى غير ذلك من وجوه النظر ، وأسباب
الاختلاف .

ونمثل لهذا النوع بمثالين ، **احدهما**
يذكر في علم الكلام أي « علم التوحيد »
على اعتبار أنه من النظريات الخلافية
الحرّة ، أي ان لكل باحث فيه ان يدلي
برأيه دون الزام للناس به لأنه من
المعارف الفكرية، لا من العقائد الاساسية،
والثاني يذكر في علم الفقه ويبين طريقة
استدلال اصحاب المذاهب الفقهية على
ما يرون من احكام .

فالأول : - اختلاف النظر في شأن
القضاء والقدر .

فمن الناس من تأملوا في القرآن
والاحاديث ، فوجدوا اشياء ظاهرها
ان الناس مجبورون مكرهون ، كقوله

هيأتها واقوالها وأفعالها ، وأنه تعالى
أوجب صيام رمضان ، وزكاة الاموال ،
وحج البيت الحرام ، وحرم الربا ، والزنا
وأكل الاموال بالباطل ، وقتل النفس
بغير الحق ، والفواحش ما ظهر منها وما
بطن ، الى غير ذلك من الاحكام القطعية
في الشريعة .

وهذا النوع من الاحكام ليس محلا
للاجتهاد بين العلماء ولا يسوغ للامة
الاختلاف فيه ، وهو الرباط الوثيق
الجامع بين الأمة افرادا وطوائف
وشعوبا ، من ارتبط به فهو منها ، ومن
شد عنه فقد شد عنها ، وخرج من
الدين خروجا لاشك فيه .

النوع الثاني : ما ثبت بطريق ظني ،
بأن جاء هو أو ما يدل عليه على نحو
يمكن ان تختلف فيه الافهام ، وتتعدد
وجهات النظر ، اما لأمر يتعلق بأصل
الورود ، واما لأمر يتعلق بالدلالة
والإفادة .

فقال جعفر : الله اعز من ان يقع في ملكه ما لا يريد ، فقال السائل فكيف الامر اذن ؟ فقال جعفر : امر بين الامرين ، لا جبر ، ولا تفويض ((وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين)) .

وروى عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، انه لما انصرف من ((صفيين)) قام اليه شيخ فقال له : يا أمير المؤمنين ، رأيت مسيرنا الى صفيين أبقضاء وقدر ؟ فقال علي رضي الله عنه ((والله ما علونا جبلا ولا هبطنا واديا ولا خطونا خطوة الا بقضاء وقدر)) .

فقال الشيخ : ((فعند الله احتسبت عنائي ، اذن ما لي من أجر)) . يريد انه ما دام مسيرا بقدر الله الذي لا مرد له ، فليس له عمل حتى يثاب .

فقال له علي : مه يا شيخ فان هذا قول اولياء الشيطان، وخصماء الرحمن ، قدرية هذه الامة - اي الذين يقولون ان القدر هو الجبر - ان الله تعالى امر تخييرا ، ونهى تحذيرا ، لم ينص مفلوبا ، ولم يطع مكرها - بكسر الراء - فضحك الشيخ ونهض مسرورا ، ثم قال

أنت الامام الذي نرجو بطاعته
يوم القيامة من ذى العرش رضوانا

اوضحت من ديننا ما كان ملتبسا
جزاك ربك عنا فيه احسانا

ويتلخص هذا في ان الله تعالى علم كل ما هو كائن ، قبل ان يكون ، ثم خلق الانسان ، فجعل له عقلا يرشده واستطاعة يصح بها تكليفه ، ثم طوى علمه السابق عن خلقه ، وأمرهم ونهاهم ، وأوجب عليهم الحجة من جهة أمرهم ونهيهم ، لا من جهة علمه السابق فيهم ، فهم يتصرفون بين مطيع وعاص ، وكلهم لا يعدو علم الله السابق فيه ، والا انقلب العلم جهلا ، تعالى الله عن ذلك .

وليس العلم من صفات التأثير حتى يكون في ذلك جبر للعبد واكراه ، فمن فعل شيئا فقد فعله باستطاعة منه في ظل المشيئة الالهية ، ولم تجر المشيئة

تعالى « ولو شاء الله لجمعهم على الهدى » « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة » وكقوله صلى الله عليه وسلم « السعيد من سعد في بطن امه ، والشقي من شقى في بطن امه » فبنوا هذا النوع على ان العبد مجبر ليس له شيء من الاستطاعة . .

ومن الناس من نظروا الى آيات أخر ، وأحاديث أخر تدل على ان العبد مستطيع ، مفوض امره اليه يفعل ما يشاء ، كقوله تعالى « واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » « وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون » وقوله صلى الله عليه وسلم « ما من مولود الا يولد على الفطرة ، حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه او ينصرانه او يمجسانه » - اي هما اللذان يجعلانه يهوديا ان كانا يهوديين ، او نصرانيا ان كانا نصرانيين او مجوسيا ان كانا مجوسيين ، فأخذوا من هذه النصوص رأيا أصلوه على ان العبد مخير ، مفوض اليه أمره ، يفعل ما يشاء .

ثم عمدت كل طائفة من هاتين الطائفتين الى ما خالف مذهبها من الآيات والاحاديث فأولته ما أمكنها التأويل وردت منه ما استطاعت رده .

وطائفة ثالثة توسطت فجمعت بين مشيئة العبد ، ومشيئة الرب ، على معنى ان للعبد مشيئة ، ولكنها لا تتم الا بمشيئة ربه ، وذلك اخذا من مثل قوله تعالى « وما تشاءون الا ان يشاء الله » « ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا » .

وروى عن الامام جعفر الصادق رضي الله عنه ان رجلا سألته ، هل العباد مجبرون ؟ فقال الله اعدل من ان يجبر عبده على معصية ثم يعذبه عليها ، فقال له السائل ، فهل امرهم مفوض اليهم ؟

الفسق بأنه أهل لغير الله به ، فعلمنا من ذلك أنه يريد تحريم ما لم يذكر اسم الله عليه بل ذكر عليه اسم سواه ، ويؤازر ذلك ما روى من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المسلم يذبح على اسم الله سمي او لم يسم » .

وبهذا يتبين ان كلا من الحنفية والشافعية له وجهة نظره في أمر محتمل، يسوغ الاجتهاد فيه .

وقد عهدنا العلماء الراسخين يتبعون الدليل من أي أفق ظهر ، ولا يعباون بمخالفة مذاهبهم اذا وجدوا الحق في غيرها .

الاختلاف في النظر امر طبيعي

ويجب أن نذكر هنا ان كلا من الاتفاق والاختلاف امر لازم لا مناص منه ، فلا يمكننا ان نتصور المسلمين ، أو أية أمة من الامم متفقين في كل شيء ، ولا أن نتصور هؤلاء واولئك مختلفين في كل شيء ، ولكن الذي هو واقع فعلا ، ولا مناص من أن يقع ، هو ان الامة الواحدة لها مواضيع كثيرة تتفق عليها ، وهي التي ربطت بينها ، وجعلتها أمة واحدة ، ولها مع ذلك مواضيع كثيرة تختلف فيها ، لاختلاف العقول ، والمصالح ، والادلة ، وهي بحكم اتفاقها فيما اتفقت فيه أمة واحدة ، وبحكم اختلافها فيما اختلفت فيه مذاهب متعددة ، والمذهبية الخاصة لا تخرج أهلها عن كونهم من الامة ، ولا تعطيمهم في نفس الوقت حقا ليس لغيرهم ، ومن ثم لا يستطيع منصف ان يقول : مذهبي حق كله ، وصواب كله ، ومذهب غيري باطل كله ، وخطأ كله ، ولكن يقول : ان هذا هو ما رأيت حسب فهمي واجتهادي وما علمته ، فأنا أرجحه ولا أقطع به، ويحتمل أن يكون ما رآه غيري هو الحق والصواب

البقية على ص ٢٣

الالهية بأن تجبر احدا على اطاعة او معصية ، ولكن جرت على ان تخلى بين الناس وانفسهم اختيارا لهم .

هذه هي مقالات الطوائف الثلاث في القدر ، وذلك سر اختلافهم في هذه المسألة ، والخير كل الخير في عدم الخوض في ذلك وأمثاله ، لأنه ليس فيه فائدة عملية ، ويكفي ان نؤمن بقضاء الله وقدره دون محاولة للدخول في فلسفات تشغلنا عن العمل النافع .

والمثال الثاني : - يقول الشافعية ان الحيوان اذا ذبح وتركت التسمية عليه عمدا يحل اكله ، فيقول لهم الحنفية ان هذا مصادم لنص صريح هو قوله تعالى « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ، وانه لفسق » فالله تعالى ينهى عن الاكل مما لم يذكر اسم الله عليه ، ويصفه بأنه فسق ، فكيف جاز للشافعية ان يصادموا هذا النص ، ويحلوا فعل شيء وصفه الله تعالى بأنه فسق ؟

والى هنا قد يبدو موقف الشافعية امام الحنفية حرجا ، ولكنهم يتخلصون من هذا الحرج في براعة ولباقة ، اذ يقولون لهم : ان الله تعالى يقول في آية اخرى « قل لا أجد فيما اوحى الي محرمات على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا أهل لغير الله به » فهذه الآية تفيد أن المحرم من الذبائح - في مسألة التسمية - انما هو الحيوان الذي اهل لغير الله به ، كان يذكر اسم الصنم عليه ، وهذا غير الحيوان الذي لم يذكر اسم الله عليه عمدا أو سهوا ، وبذلك يحمل النهي في قوله تعالى « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » على ما أهل لغير الله به ، جمعا بين الآيتين .

وهذا الذي يقوله الشافعية له وجه من النظر مقبول ، فان الله تعالى وصف الفعل مرة بأنه فسق، ومرة أخرى وصف

الإسلام
ورسوله
وتعاليمه
بلفتة
العصر

بقلم الاستاذ
احمد حسين المحامي

ما الدين في حقيقته؟

مترجم

رحلة العقل البشري للبحث عن الله

لا يستطيع الإنسان أن يعيش
والذين أنكروا الأديان وهاربوها أو صدروا لهم ديناً جديداً كل

محلّي اقليمي لا يدين به سوى قبيلة
معينة أو جماعة من الناس مخصصة ،
وبعض الأديان يناهز اتباعه مئات الملايين ،
بينما البعض الآخر قد لا يتجاوز معتنقيه
بضعة آلاف (١) .
وقد سرى في القرنين التاسع عشر

معنى ان يكون الانسان مسلماً ، ان
يدين بدين الاسلام ، تميزاً له عن يدين
بالمسيحية او باليهودية او البوذية او
غيرها ، وفي المجتمع البشري عديد
من الأديان بعضها عالمي يعتنقه افراد من
سائر الأمم والشعوب ، والبعض الآخر

(١) جاء في بعض الاحصائيات الامريكية ان عدد المسيحيين حوالى ٩٠٠ مليون وعدد المسلمين وهم
الذين يلونهم في العدد حوالى ٤٤٥ مليون ثم الهندية ٣٨٦ مليون فالكنفوشيوسية ٣٤٢ مليون ، وهناك
الزرداشتية التي لا يزيد اتباعها عن ١٤٥ الف واليهودية ١٣ مليوناً .

يسر مجلة « الوعى الاسلامي » ان تواصل تقديم هذه البحوث القيمة التي يكتبها لها الاستاذ احمد حسين الذى عكف منذ ان ترك ميدان السياسة على الدراسات الدينية وقدم للمكتبة العربية في هذه الناحية كتباً تعتر بها . وهو يعالج في هذا البحث وما بعده ان شاء الله مشكلة من اخطر المشكلات التي تجابه الانسان المتدين وبخاصة المسلم في عصرنا الحديث مشكلة الالحاد الذى تبشر به دول لها قوتها ووزنها وتضع في خدمته كل قواها » .

هذه الاسئلة ، والدين بهذا المعنى لا يمكن ان يكون شيئاً زائداً عن الانسان . . انه الانسان ذاته حياته وعلاقته بالوجود . ولنرد الامر تفصيلاً او بالاحرى تبسيطاً .

عجز الانسان وقصوره

قد يتنبه الانسان الى نفسه ويدرك امره وامر الوجود من حوله ، وهو يحس من نفسه الضعف والقصور عن فعل كل ما يريد ان يفعله ، وهو يرى من حوله ظواهر تفزعه ، وتذكره بضعفه وعجزه ، وقوة الطبيعة من حوله ، عندما تتزلزل الارض زلزالا ، او تثور البراكين ، او تنطلق الاعاصير ، او تتدفق الامطار سيولا جارفة ، او تنظم الدنيا في غير اوانها .

على ان الظاهرة الكبرى التي روعت الانسان ، وستظل تروعه وتشعره بعجزه وقصوره ، وانطواء الوجود من حوله على اسرار كانت لا تزال حتى الآن مغلقة عليه ، هي ظاهرة الموت التي تعرض لكل كائن حي ، ويرى الانسان في نفسه القدرة على وضع حد لحياة الكائنات الاخرى بذبحها واكلها احيانا ، ولكنه هو نفسه يموت ، وقد لا يروعه الموت بقدر ما يروعه ما بعد الموت، حيث يتجيف الانسان وينتن ، ويصبح اقوى الاقوياء ، واجمل الجميلات ، شيئاً تعافه النفس . فتسرع بالتخلص منه عن طريق الدفن او الحرق او التفريق ، ثم لا يلبث الكائن الحي الذى دفن ان يتحول الى تراب كبقية تراب الارض .

وكان مستحيلا على اى انسان ان لا يقف امام هذه الظاهرة متخلما والها ، وان يتساءل ، ما هذا

والعشرين تيار فكري ، يقول ان الدين نظام من مخلفات الماضي ، لم يعد يليق بالعصر الحديث ، وذهب البعض الى حد وصفه بأنه أفيون الشعوب ، وأنه وسيلة استغلال الاقوياء للضعفاء (1) . فما حقيقة الدين في جوهره ؟ أهو شيء عارض باستطاعة الانسان ان يستغني عنه ، ام هو شيء اصيل في حياة الانسان ، كل انسان ، ولا يمكن ان يقوم مجتمع انساني الا به ؟ .

جوهر التدين

الحق ان التدين في جوهره ، ليس الا محاولة لتفسير علاقة الانسان بالوجود

بغير دين مراسم الأديان الأخرى.

من حوله ، ومعرفة مكانه منه : لماذا هو حي ؟ من اين جاء والى اين يذهب ؟ ما علاقته بمن يحيط به من البشر والحيوان والنبات والعناصر ؟ ما حقه عليها وحققها عليه؟ ما قدرته عليها وقدرتها عليه ؟ وليست الحياة - حياة اى انسان الا الرد عن طريق الواقع والفعل على

(1) وهم الشيوعيون كما صرح بذلك زعمائهم . بل قال لينين « الدين نوع من سيفوخا . وسيفوخا اردا انواع الفودكا ذو رائحة كريهة « الوعى » .

كأصل لهذا الوجود . ويسأل الولد امه التي جاء منها من اين جاءت ، فتقول له أنها جاءت من ام اخرى هي جدته، والجدة من ام سابقة عليها . . وهكذا ، ومن العبث ان تظل السلسلة الى ما لا نهاية ، ان العقل الانساني لا يستطيع تصور ذلك ، فلا بد اذن أنه كانت هناك ام اولى قد وجدت بطريقة غير هذه الطريقة المألوفة ، ويجب الاطمئنان الى ذلك كنقطة ابتداء لكي يبني الانسان معارفه ويكيف تصرفاته وسلوكه ، ويعرف مآله وانه بعد ان يموت سيعود الى هذه الام الكبرى التي انبثق منها كل شيء .

هذا اللون من التفكير الذي يعرض للانسان في مرحلة من مراحل حياته ابان طفولته ، وطفولة البشرية في مجموعها ، قد ترك أثره في اللغة التي يتكلم بها ، حيث ترى العناصر الكبرى كلها في الطبيعة مؤنثة ، بل ان كلمة الطبيعة نفسها مؤنثة ، والسماء مؤنثة ، والشمس مؤنثة ، والارض مؤنثة ، والحياة مؤنثة ، وما اكثر ما نقول في حديثنا « انا الارض » وهذا التأنيث للعناصر في اللغة ليس وقفا على لفظة دون لفظة ، بل هو عام وشامل .

فاذا تجاوزنا دلالة اللغة ، فان تاريخ العبادات القديمة تنطق كلها بأن الالهة الانثى ، كان لها دائما النصيب الاوفى من حب البشر وتعلقهم ، واسماء ايزيس وعشتروت وأثينا وهنرفا وافروديت وفينوس واللات والعزى معروفة من قديم . . (١)

ولا يظن كائن ان ذلك وقف على المجتمعات القديمة الوثنية ، بل هو عام وشائع في سائر المجتمعات ، فالمسيحيون الكاثوليك يقدسون الامومة ممثلة في مريم حيث يرسمونها دائما

الموت ؟ من الذى يميتني ؟ ، ما الذى يحل بي بعد ان اموت ؟ اين يذهب هذا الضحك وهذه البشاشة ، هذا الفكر وهذا العقل ، هذا الكمال وهذا الطموح ، اين يذهب ذلك كله وما هو مصيره ؟ . . . اهذه الجيفة التنتة هي خاتمة المطاف ، ويرتد السؤال الى الجانب المقابل ، من الذى جاء بنا ، لماذا جئنا ، ويروح الانسان منذ طفولته يسأل كل من حوله عن جواب لهذه الاسئلة، فيرد عليه الكبار بما يعلمون ، فيقنع بما يقال له ، ويرى فيه تفسيراً لما يشكل عليه ، اولا يرى فيه مقنعا ولا غنى ، فيواصل سؤاله ، ويواصل بحثه ، ويواصل تطلعه لايجاد حل لهذه المعميات .

وليست هذه مجرد مباحث نظرية او خيالية كما قد يتصور البعض ، بل هي اساسية لكي يستطيع الانسان ان يحيا ويعايش الآخرين ، لانه على اساس هذا الفهم كما قدمنا تقوم سائر العلاقات الانسانية مع كل ما يحيط به من عناصر وكائنات .

تطور التفسيرات بتطور الانسان

والطفل لا يتساءل في طفولته المبكرة هذه الاسئلة ، فالكون كله يتلخص في هذا الثدي الذى يرضع منه ويمده بالحياة ، وكلما ازداد ادراكا وازداد احساسا ، اتسع الكون امامه ، فأصبح في هذه اليد الحانية التي ترفعه ، وهذا الصدر الذى يضمه ، وهذا الحجر الذى يطمئن اليه . ويظل الكون يتسع باتساع حواس الطفل ومداركه ، ولكن الام التي حملته في احشائها ، وانفصل عنها ، والتي يرضع من ثديها ، والتي تطعمه اذا جاع ، ويفزع اليها اذا خاف ، بقيت محفورة في عقل الانسان الاول ،

(١) الى هذا المعنى ألمح القرآن الكريم بقوله « ان يدعون من دونه الا انا » .

وهي تحمل الطفل (الالهي) كما كانت
ايزيس تحمل حوريس .

الابوة الى جوار الامومة

ولكن العقل المتفتح ابدا ، المتسائل
دوما ، الذي يكتشف في كل يوم معارف
جديدة ، ويلاحظ ويبحث وينقب ، سرعان
ما اكتشف ان الامومة وحدها ، لا يمكن
ان تكون السبب الاول للوجود ، فلو
ظلت الانثى وحدها ، ما بقيت ، فلن
تنجب طفلا ، ولا بد من اتصال الذكر
بها لتتم عملية الخلق والايجاد ، فكان
الذكورة اذن - وليست الانوثة - هي
السبب الاول ، ومن هنا قامت عبادة الآباء
والاجداد ، وخاصة هذا الاب الاول ،
الذي منه تسلسلت بقية الآباء ، والذي
لم يوجد بالطريق المألوف وانما اوجد
نفسه ، او وجد بطريقة ما ، لا يستطيع
العقل ان يدركها وانما ينبغي ان يسلم
بها .

ولا تزال كلمة الأب كاسم للاله الخالق
مما يستعمل في المسيحية .

تأليه العناصر

ويمضي العقل الانساني في تجوله
وتطلعه ، ومن يحظر على العقل الانساني
ان يتطلع ويتسأل ويرتاد المجهول ، فكأنه
يطلب منه ان يخرج عن طبيعته ، ان لا
يؤدي وظيفته ، ان يتحول الى قطعة
حجر او خشب او حديد ، او على
احسن الفروض يطلب منه ان يهبط
الى مخ الحيوان ، حيث لا يعرف الا ان
ياكل ويتناسل ويموت . ومضى العقل
في تجوله وريادته : لا يمكن ان يكون اب
او ام من لحم ودم هما معا او أحدهما
على انفراد هو سبب الاسباب في هذا
الوجود ، ذلك ان كل ما كان من لحم ودم
قصير الاجل يموت وينحل ويعود ليكون
ترابا اذا دفن ، او دخانا اذا احترق ،
فلا بد ان يكون التراب او بالاحرى الارض
التي يدرج عليها كل كائن حي ، والتي

تخرج النبات والشجر والغابات وترتفع
فوقها الجبال والهضاب وتجري في
وديانها الأنهار . . لا بد ان تكون هذه
خالقة كل شيء وهي سبب الاسباب . . !!

ولكن النبات لا ينبت ، الا اذا هطلت
مياه السماء على الارض ، ونحن البشر
لا نستطيع ان نعيش ، اذا لم نشرب الماء ،
وكل شيء يموت اذا لم يرو بالماء حتى
الارض نفسها ، اذا غابت عنها المياه ،
ماتت وتشققت ، واصبح شكلها مخيفا
موحشا . والمطر يهطل من السماء ، فلا
بد ان تكون السماء هي السبب الاول ،
ويروح الانسان - كل انسان - يتحدث
عن السماء والارض ، وان الحياة والوجود
هما ثمرة تلاقيهما وتفاعلهما وتلاقجهما .
ويتطلع العقل للسماء بعد ان ينتقل
من الارض بحثا عن السبب الاول ، عن
العلة الاولى لهذا الوجود ولعلك قد
لاحظت معي كيف ان معارف الانسان
تزداد نموا ، من خلال هذه التطلعات .
كيف ان علوم الانسان ومعارفه كلها ،
تنشق من هذا البحث ، البحث عن العلة
والاسباب ، فليس باستطاعة الانسان
ان يتحرك حركة واحدة ، او ينشط اى
نشاط من اى نوع كان ، الا اذا حدد
الغاية التي يسعى اليها ، وادرك الاسباب
والعلل التي يستطيع عن طريقها تحقيق
هذه الغاية .

الشمس والنور

واذ تطلع الانسان الى السماء تاركا
الارض ، فقد كانت الشمس بانتظاره
كاعظم ظاهرة في هذا الوجود ، فهي
لا تكاد تغيب حتى يعم الظلام ، وتوحش
الدنيا وتمتلي بالاشباح ، وتهجم الكائنات ،
ويعتري الانسان هذا النوم العجيب ،
الذي يكف فيه عن كل حركة ، وكأنه
انسلك من الحياة .

ثم تطلع الشمس ، فيشرق الكون
بالضياء والبهاء ، وتتجلى الالوان ، وتبعث
الكائنات ، ويفور الكون بالحياة والنشاط
انكون الشمس هي سبب الاسباب ؟

والارض ... الارض الجرداء يستطيع
الانسان أن يشقها ، ويرويهها ويستنبتها
ما يشاء ، انه يستطيع ان يسخر
الحيوانات لخدمته ، والرياح ، والمياه ،
والشمس وان يستفيد من ذلك كله ،
لصالحه ومنفعته .

ويهدف الانسان - وقد وصل الى
كمال نضجه العقلي - ان الام الاولى ،
او الاب الاول ، ان سبب الاسباب والعللة
الاولى ، كما لا يمكن ان تكون من لحم
ودم ، فكذلك لا يمكن ان تكون من تراب ،
او ماء ، او نار ، او حجر ، او شمس ، او قمر ،
انها لا يمكن الا ان تكون شيئاً ، يفاير
ذلك كله ، ويعلو على ذلك كله . . شيئاً
لا يستطيع ان تراه ، او تلمسه او تذوقه
لان كل ما استطعنا ان ندركه بحواسنا ،
فنحن ارقى منه ، ونحن اقدر منه ما دام
باستطاعتنا ان نحيط به ، وان نقيسه
او نزنه او نكيله ، فليس يحيط بالشيء
الا ما هو اوسع منه واعمق . لا بد ان
يكون سبب الاسباب ، او العلة الاولى ،
شيئاً لا يدرك بالحواس ، بل لا يستطيع
العقل الذي كون كل معارفه واحكامه
من خلال الحواس ، ان يحيط به ، وليس
باستطاعة العقل ان يدرك الا انه موجود
اما كيفية هذا الوجود فضلاً عن ماهيته ،
فشيء يستحيل ادراكه ، لان سبب
الاسباب هو الكل ، والانسان بما فيه
عقله ، ليس سوى جزء ، ويستحيل في
العقل ان يحيط الجزء بالكل .

وسوف نتحدث في مقال تال عن ادلة
العقل على وجود الله . اما الان فحسبنا
ونحن نتابع رحلة العقل البشري كما
يسجلها تاريخ الاديان والمعتقدات ، ان
نقف عند هذه الذروة . . عندما استطاع
العقل البشري عن طريق التفكير المجرد ،

ولن نجد عبادة في القديم الا وتؤلف
الشمس سداها ولحمتها ، فالشمس
كانت معبودة بطريق مباشر ، او بطريق
غير مباشر ، فالاله المعبود هو رمز الشمس ،
او المنشق عن الشمس ، انه ابن الشمس .
ولكن الشمس في خاتمة المطاف ،
ليست الا احدي الظواهر التي تضمها
السماء . . . ففي الليل تتجلى الكواكب
والنجوم التي تبدو بحيث لا يدركها
الحصر ، وهذا القمر المضيء بالاشعة
الفضية الساحرة ، وهذه النجوم اللامعة
. . . ان الامر اعرق واوسع واشمل من
الشمس او القمر او كليهما معا . (١)

سبب يعلو فوق الاسباب

وتزداد معارف الانسان وتجاربته
وخبرته : ان الرعد لا يخيف . انه مجرد
زمجرة ، والحيوانات الكاسرة بكل
وحشيتها يستطيع الانسان ان يتغلب
عليها ، ويخضعها لسلطانه بل وان يقتلها ،
والظلام والأشباح ان الانسان يستطيع
ان يبده ويطردها لو انه اشعل ناراً ،
والنهر لا يؤلف عقبة ، او حاجزاً امامه ،
فانه يستطيع ان يعوم في مياهه ويسبح ،
بل انه يستطيع ان يعتليه ، ويستخدمه
بالانتقال من مكان الى مكان ، عندما يطفو
على قطعة من الخشب . . والشمس
الحارقة ، يستطيع الانسان ، ان يتقيها
اذا آوى الى كهف ، او استظل بشجرة .

(١) صور القرآن الكريم هذه الحركة العقلية في قصة ابراهيم عليه السلام « فلما جن عليه الليل رأى
كوكبا ، قال هذا ربي فلما اقل قال لا احب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما اقل قال لئن
لم يهدنى ربي لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما اقلت
قال يا قوم اني برىء مما تشركون . انى وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من
المشركين » . الانعام - ٧٦ - ٧٩ .

تعرف ما حوله ، ومكانه في هذا الوجود
ومن اين جاء ، والى اين يذهب .

الخط الثانى : - هو تكييف النشاط
الانسانى ، وعلاقة الانسان بما يحيط به ،
من كائنات على هدى ما يسفر عنه البحث
وتستقر له النفس ، من اجابات على
الاسئلة السابقة .

الخط الثالث : - هو ان السبيل
لتعرف الانسان على هذه الحقائق ، لا يتم
الا بواسطة نفر من البشر ، يفوقون البشر
العاديين علما وادراكا ، وحساسية وقوة
يقين .

لا يقوم مجتمع انسانى على غير هذه الاصول

هذه الخطوط الثلاثة ، او هذه العناصر الثلاثة،
التي تؤلف جوهر الدين ، لا يمكن ان تتصور اى
مجتمع انسانى ، يقوم بغيرها ، الا اذا قلنا ، ان
باستطاعة الانسان فضلا عن الجماعة ، ان تعيش
بغير عقل ، فلا تحاول ان تعرف مكانها من الكون ،
وان تعيش بغير قانون ، او تشريع ينظم علاقتها ،
وبغير نظرية ، تكون المنطلق لكل مناسبتها فالقول اذن
بان الدين هو عنصر زائد على حياة الانسان ، وانه
يستطيع ان يعيش بغيره ، وانه من تراث الماضى
الذى يجب ان يزول ، هو قول ينطوى على عدم
ادراك ماهية الدين ، وانه النظرية المنظمة لحياة
الانسان ، والتي لا يمكن ان تستقيم حياة انسانية
بغيرها ، والصحيح ان يقال (من وجهة نظر القائلين
بهذا القول) : انهم قد جاءوا بدين جديد ، له كل
خصائص الاديان من حيث كونه نظرية شاملة لتفسير
الوجود وبرنامجا كاملا لتكييف حياة الانسان ، على
هدى هذه النظرية ، وان الذى يقول بذلك ، هم
نفر من الناس ، تلقوا عن انسان كامل تهيأ له من
العلم ، ما لم يتهيأ لانسان من قبله ، او بعده .
وما علينا الا ان نبحت هذه النظرية الجديدة ،
التي ينادى بها الماديون والمحدثون ، وتتابع سلوكهم
لنرى اننا بازاء دين جديد ، او بالاحرى دين قديم
خلفته البشرية وراءها في سيرها الطويل ، وهو عبادة
المادة والعناصر الاولى من هواء وترات وماء وزمان (١)
يقولون (ولسنا الآن في مجال مناقشة ما يقولون)
انه ليس ثمة في هذا الكون غير المادة ، او بالتعبير

ان يصل الى ادراك وحدانية السبب
الاول بالدليل والمنطق . وكان ذلك على
يد فلاسفة الاغريق العظام من امثال
سقراط وافلاطون وارسطو .

الوجدان كطريق للمعرفة

على انه يخطيء من يتصور ان سبيل
المعرفة الانسانية هو العقل والحواس او
على الاقل - لتكون داخل النطاق العلمي
من البحث والتفكير - لا تزال التجربة
ثبتت ، ان ثمة معارف تنبثق في ضمير
الانسان ، ووجدانه ، دون ان يكون من
المستطاع تفسيرها عن طريق الحواس ،
فللحيوان احساسات اكمل وانضج من
حواس الانسان ففي الحيوانات ما يسمع
بأقوى مما يسمع الانسان ، وفيها ما
يرى بأحد مما يرى الانسان . ومع ذلك
فالانسان وحده من دون الكائنات الحاسة
يقول شعرا ، ويرسم صورة ، ويؤلف
قصة ، فلا بد اذن ان يكون في الانسان
طاقة تعلق طاقات مجرد الحواس والمعارف
العقلية التي ترد عن طريق الحواس .
وبهذه الطاقة التي جرى الاصطلاح
على تسميتها بالوجدان او الحدس ، والتي
تعلم الانسان عن طريق الالهام ، وبهذا
الوجدان ، وبهذا الالهام ، قال الانسان
الشعر ، وعزف الموسيقى ، ونحت وصور
وغنى وتكلم واكتشف واخترع .

وقد عرفت البشرية رجالا ، جاءوا
يخاطبون هذا الوجدان الانسانى ، فاذا
البشر يجدون في خطابهم ، حلا لمشكلاتهم
وتفسيرا لمعياتهم ، وعزاء لآلامهم ، واملا
في مستقبلهم فانصاعوا لهم ، واهتدوا
بهديهم ، واستضاءوا بنورهم . اما هذا
النفر ، الذين استطاعوا ان يقوموا بهذا
الدور في حياة البشر ، فهم من نطلق عليهم
اسم الرسل ، وليس الآن مجال التحدث
عنهم ، فنحن لا نزال في دائرة استعراض
تفسير ماهية الدين ، والذي يمكن تلخيص
جوهره وعناصره في ثلاثة خطوط .
الخط الاول : - هو محاولة كل انسان

(١) وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر (سورة الجاثية)

كان القائلون بذلك هم سبعمائة مليون من البشر!! لو ان القائل بذلك كان يقيم في موسكو، اذن لكان نصيبه القتل، او الحرق تماما كما كان يحرق اى مخالف لاي دين من الاديان .

وهكذا نرى المذهب الجديد الذى جاء ليحرق البشرية - فى زعمه - من نير الاديان القديمة، قد جاء بنير اثقل واقسى والذى جاء، ليقوض سلطان الكنيسة، والكهنة، قد خلق طائفة اعنى من الفسوس ورجال الدين، والذى جاء يسخر من فكرة القداسة، قد خلع القداسة على رجاله!! والذى يسخر من الوحي والالهام قد جعل كتب صاحبهم هى الوحي نفسه، والالهام ذاته، هى الحقيقة وقد تحولت الى كلام!! .

فالثائرون على الدين اذن، والقائلون بان المجتمع لا يحتاج الى دين، لم يستطيعوا الا ان يوجدوا دينا جديدا، او بالاحرى ان يعبدوا دينا قديما، فعبادة الانسان للسماء، او الشمس ليس شيئا جديدا، كما قدمنا .

ويكون التدين اذن - بمعنى العيش وفق نظرية شاملة، تفسر الكون، وتستلهم نواميسه، وسننه، وتلقى هذه النظرية الشاملة، والتفسير الكونى بواسطة نفر من البشر، يكونون ائمة، ويكونون قادة للانسانية - ظاهرة انسانية وضرورة اجتماعية، لا يقوم الاجتماع البشرى بغيرها .

واذ وصلنا الى هذا الحد، فقد بقى ان ننتقل الى السؤال الثانى :

اذا كان وجود الاله، لا يمكن ان يتم الا من خلال دين - تماما - كالاديان، التى تؤمن بوجود الاله، فايهما افضل : ان تؤمن بالله، ام ننكر وجوده ؟ ان تؤمن بالمادة، كسبب الاسباب لهذا الوجود ام تؤمن بسبب يعلو على المادة ؟ وما هو الفارق بين النظريتين من حيث اثر كل منهما على الانسان، وتحقيق اكبر قدر له من الخير والطمأنينة والسعادة ؟

موعدنا فى الرد على هذا السؤال المقال التالى ،،،

الفنى (المادية الجدلية) وان هذه المادية الجدلية هى الاصل الذى انبثقت منه سائر الاشياء، والعناصر والكائنات ... ولا تسأل : من الذى اوجد هذه المادة، انها موجودة هكذا منذ القدم، وستبقى حتى الازل، وهذه حقيقة يجب ان نسلم بها وان نتخذ منها نقطة الانطلاق!!!

دين جديد

ويجب ان تشاد الحياة الانسانية والعلاقات بين الانسان وسائر الكائنات على اساس هذه المادة الجدلية وقوانينها وان انسانا ما وهو ((كارل ماركس)) هو الذى اهتدى الى سر الوجود، والحياة، بعلم يفوق علم العلماء وادراك يفوق ادراك المدركين، حيث لم يسبقه سابق، وهيهات هيهات ان يلحق به لاحق!!!!

وتصبح كتابات كارل ماركس كتسا مقدسة، تفوق قداسة الكتب المنزلة، فكل باحث، وكل مفكر ليس يقبل منه قول او رأى الا اذا نقل سطرًا، او عبارة او كلمة واحيانا حرفًا من كتاب ((كارل ماركس)) حتى يجد سميعة . وتعلق صور كارل ماركس كما تعلق صور مريم العذراء ويحاط جسده تاميذه لينين ليكون مزارًا، تكتحل بمراه عيون المؤمنين، وتصبح موسكو - حيث يقال انها تطبق الدين الجديد - كعبة يحج اليها، ويتولى الجالسون فى هذه الكعبة مهمة تفسير كتب كارل ماركس ولينين، وليس لاحد حق التفسير الا هم، وليس من يفهم نواميس المادية الجدلية الا هم!! فاذا جاء اقوام جدد، يزعمون انهم يفهمون فهما مفايرا لتعاليم السيد الكبير، وان مقتضيات المادية الجدلية ان يكون السلوك على هذا الوجه او ذاك فهذا هو الانحراف والمروق، وهذه هى الخيانة والردة.. ولو

سنة مظنونة فنزل عن رأيه فيها تأدبا
مع صاحبه .

وقد ابى الامام مالك ان يفرض على
الناس كتابه « الموطأ » لما استشاره أمير
المؤمنين ابو جعفر المنصور في أن
يبعث به الى اقطار المسلمين ليحكموا
بمقتضاه ، فقال مالك : « لا تفعل يا أمير
المؤمنين ، ودع الناس يأخذون بما
علموه ، وبما يصلح لهم ، فقد سبق الى
كل قطر من اقطار المسلمين بعض اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وربما
رووا عنهم ما ليس في كتابي هذا .

وكان الامام احمد رضي الله عنه
يقول « ليس لاحد مع الله ورسوله
كلام » وقال يوما لرجل « لا تقلدني ، ولا
تقلد مالكا ، ولا الاوزاعي ، ولا النخعي ،
ولا غيرهم ، وخذ الاحكام من حيث
أخذوا من الكتاب والسنة » .

ومراد به ذلك من له قدرة على النظر
والاجتهاد ، واما من لا يقدر على ذلك ،
وليست لديه شروطه وأدواته ، فيقلد
اماما معروفا بالعلم والورع والرجاحة ،
ويأخذ بما شاء من آراء العلماء .

وهذه النظرة المنصفة تغيب أحيانا
عن بعض اهل العلم ، او تغمرها العصبية
او المصلحة الشخصية، فيشتد الخلاف،
وينقلب لجاجا وخصومة ، وان خير ما
يقدمه خاصة اهل العلم الى امتهم في
هذا العصر ان يتناولوا بحوثهم العلمية
في انصاف ورفق ، وان يكون رائدهم
الحق من أي أفق ظهر ، وأن يحسن كل
منهم الاستماع الى ما يقوله الاخرون ،
فربما وجد عندهم صوابا، وربما استعان
بهم على الوصول الى درجة الكمال .

ولست مكلفا الا بما وصلت اليه ، وليس
مخالفي مكلفا الا بما وصل هو ايضا اليه .

وما من مجتهد الا روى عنه ما يدل
على سماحته العلمية ، وأنه كان يأبى
على الناس ان يقلدوه في كل ما قال ،
ويلفوا ما سواه .

فأبو حنيفة رضي الله كان يقول
لا ينبغي لمن لم يعرف دليلي أن يفتي
بكلامي ، وكان اذا أفتى يقول : هذا رأى
النعمان بن ثابت - يعني نفسه - وهو
أحسن ما قدرنا عليه ، فمن جاء بأحسن
منه فهو أولى بالصواب .

والشافعي رضي الله عنه كان يقول :
اذا صح الحديث فهو مذهبي وقال مرة
للمزني . يا ابراهيم . لا تقلدني في كل
ما أقول ، وانظر في ذلك لنفسك فانه
دين .

سماحة

وقد صلى الامام الشافعي صلاة
الصبح مرة في مسجد الامام ابى حنيفة
بالاعظمية ، فلم يقنت - أي لم يأت بدعاء
القنوت كما هو مذهبه - فسئل بعد
الصلاة . لماذا لم تأت بدعاء القنوت ؟
فقال لقد كان ابو حنيفة رحمه الله لا
يرى القنوت في صلاة الصبح ، فرأيت
أن أتأدب معه ، وأنا في جواره .

وهكذا بلغ من سماحة الشافعي ان
يترك سنة من السنن في نظره ، ليقوم
بواجب التأدب مع هذا الامام الجليل ،
في قبره وطبعا لو كان القنوت في نظره
فرضا لما تركه ، وانما فعل ذلك لأنه

هل تأثر الفقه الإسلامي

كانوا أم عجا . فثبت ان الفقه لم يتأثر في مسألة المصطلح لهذا العلم من القانون الروماني .

ومن ناحية المنهج نجد ان مؤلفي القانون الروماني ، قسموا المسائل في كتبهم الى ثلاثة اقسام الاشخاص ، والاشياء والخصومات او القضايا امام المحكمة العدلية . ولكن الفقهاء وضعوا كتبهم على اساس العبادات ، والمعاملات والعقوبات . فاذن لم تتأثر الكتب الفقهية بكتب القانون الروماني فيما يتعلق بالمنهج والترتيب ايضا .

ذلك ان المسلمين لم يفرقوا بين الروح والجسد، ولم يهملوا احدا منهما، وفكروا ان الانسان مركب منهما جميعا .

فلو اعتنى احد بواحد منهما فحسب، لم يتحقق الفرض من وجودنا ، فنصير اما ملائكة (وهناك ملائكة غير الانسان) ، واما شياطين (وقد خلق الله شياطين غيرنا) . فالنشوء المتعادل للانسان كله (في روحه وجسده) يحتاج الى الاعتناء بكلا الامرين . ولهذا السبب ذكر الفقهاء في كتبهم العبادات ، كما ذكروا المعاملات وليس كذلك عند الرومانيين . فكتب القانون أي (يس) عندهم لا تذكر المسائل الروحانية (أي العبادات) ابدا .

ان اساس القانون الاسلامي مستمد

هل تأثر الفقه الاسلامي بالقانون الروماني ؟

ان طالب العلم طالب الحق . فيجب علينا ان نبحث في الحق ثم نتبعه ، فان الحق يعلو ولا يعلى عليه . فاذا كان القانون الاسلامي مأخوذا من القانون الروماني فلا ينقص قدره ، وان لم يكن كذلك فلا يزيد قدره . فهو ما هو .

وهذه المسألة لها نواح عديدة ، ولا يمكن احصاؤها في مقالة صغيرة ، ولهذا أكتفى بهذه العجالة ، فما لا يدرك كله لا يترك كله .

فمن ناحية التسمية نجد ان أهل روما عبروا بكلم « يس » (Jus) عن مجموعة الاحكام العملية عندهم لاحوال البشر في مختلف الاحوال و « يس » معناه اللغوي « حق » . واستعمل الفرنسيون والالمان والاطليان عين المصطلح لهذا العلم، فترجموا وقالوا : diritto, recht, droit أما العرب المسلمون فاستعملوا كلمة « الفقه » لهذا المفهوم . ومعناه « المعرفة » . أما كلمة « حقوق » المستعملة الآن في البلاد العربية والفارسية والتركية ، فهي محدثة ، مترجمة من الفرنسية ، ولم يستعملها قدماء المسلمين ابدا في هذا المعنى ، عربا

بالقانون الروماني؟

للدكتور محمد حميد الله

العبادات تختلف تماما بين الموحدين (المسلمين) والمشركون عابدي الاصنام والاولثان (الرومانيين) .

والقانون الاسلامي والروماني يختلفان حتى في المسائل التي تذكر في كتبهما على سبيل الاشتراك . مثلا في العقوبات نجد أن الفقهاء قسموا الجرائم الى قسمين : الحدود ، والمظالم . فالحدود تتعلق بالجرائم التي لو ثبتت بالبيئة تكون العقوبات معينة محددة ، لا تتحمل زيادة ولا نقصانا . أما المظالم فالعقوبات فيها حسب رأى القاضي ، ويجوز له العفو أيضا (والحدود تتعلق بقتل الانسان ، والسرقه ، والزنا ، والقذف ، وشرب الخمر ، والارتداد . والزنا والقذف وشرب الخمر ليست محرمة عند الرومانيين ومن ثم فلا عقاب عليها ، وأما عقوبة الارتداد بالقتل فكانت موجودة عند الرومانيين . أما القتل والسرقه فهما محرمان عند سائر الامم منذ أقدم العصور . ولكن العقوبات عليها عند المسلمين والرومانيين تختلف كثيرا . فقطع اليد لا يوجد عند الرومانيين . وفي القتل تشكل العقوبة عند المسلمين حسب النية من حيث العمد والخطأ وهي لا توجد عند الرومانيين فيما أعرف . وكذلك الدية والقصاص عند المسلمين من حقوق ورثة المقتول، وعند الرومانيين

من كلام الله (المنزل بالوحي) ، وأساس القانون الروماني مستمد من مشيئة الانسان . و خلاصة القانون الاسلامي كلمة « لا اله الا الله محمد رسول الله » أى المقتن هو الله الواحد ، وهو الذى أنزل أوامره على رسوله ليبلغها الى سائر البشر . وماخذ القانون الاسلامي ومصادرها تشتمل على كلام الله وسنة نبيه واستنباط المتخصصين بواسطة الاجماع أو القياس . بينما الرومانيون يبنون أحكامهم اما على اوامر رئيس الحكومة او على العرف والعادة . ومعنى هذا بوضوح ان المسلمين لم يتأثروا من روما في مصادر القوانين .

وبما ان المسلمين لم يفرقوا بين المسائل الروحانية ، والمادية ، نجد أن كتبهم لا تكتفي بذكر العبادات والمعاملات فحسب، بل تذكر أيضا المسائل الدستورية ، وأحكام الحقوق الدولية ، وغير ذلك أيضا . وليس كذلك فى كتب القانون الروماني ، فانها أهملت تماما حتى هذه المسائل العمومية ، وجعلتها من علم السياسة . فالامام عند الفقهاء هو امام صلاة الجماعة ، كما هو امام دولة المسلمين . ومسائل السير (الحقوق الدولية) قسم من الفقه ، تتعلق بها حقوق الناس ، كما فى سائر اجزاء المعاملات والعقوبات هذا فضلا عن ان

السلام قال فيما روى الامام احمد بن حنبل « يعمل في الاسلام بفضائل الجاهلية » ، فأقر عليه السلام بعض تلك العادات الجاهلية وغير أخرى . وبعض هذه القوانين العربية القديمة قد تطور من حضارات سبأ ومعين ، والبلدتان كانتا قبل تأسيس بلدة روما . وكانت حضارات راقية لم تمت ولم تندرس ، بل دامت حتى اتصلت بالعهد الاسلامي . فنحن نعرف ان آخر ملوك الحميريين هو سيف بن ذى يزن ، وقد وفد عليه عبد المطلب جد النبي عليه السلام في وفادة سياسية ، وهنأه لما تمكن من اخراج الحبشة من اليمن . وهذا يدل على قيام العلاقات وامتانة الصلات بين مكة واليمن .

ومما يذكر ان المسلمين فتحوا في نفس الوقت البلاد التي كانت قبل ذلك عند البيزنطيين وعند الساسانيين وغيرهم . فتأثير قانون روما دون قوانين سائر الامم المفتوحة ترجيح بلا مرجح . ومما يذكر انه لم يمض على وفاة النبي عليه السلام مدة حتى طرق المسلمون ابواب اوربا من جهة والصين من جهة وارمينيا من جهة وفي الهند من جهة . فقد ذكر الطبرى والبلاذرى تلك الفتوح، وقررت تواريخ الصين ما ذكره البلاذرى من فتح ما وراء النهر الصينية . ففي هذه البقاع الممتدة كانت توجد عتدة من الحضارات وانظمة القوانين الراقية .

ومما لا ينسى ان المسلمين لما فتحوا العراق، لم يغيروا قوانين الخراج للاراضي هناك (كما يؤكد المؤرخ المسعودى) بينما المسلمون لم يتبعوا ذلك في سوريا ومصر، بل غيروا كثيرا من قوانين الخراج البيزنطية في تلك البلاد ، لانها كانت ظالمة . فلا يقال اذن ان القانون الروماني اثر على الفقه الاسلامي .

القصاص حق الدولة . وكذلك يوجد ما يسمى بالعاقلة عند المسلمين منذ عصر النبي عليه الصلاة والسلام ، وهي لا توجد عند الرومانيين (وهي عبارة عن تضامن الاسرة او القبيلة لاداء ما يفرض على أحد أفرادها من الدية) . فنرى من هذا أن القانونيين لا يتشابهان حتى في جريمة القتل . والفرق بين الحدود والمظالم لا يوجد عند الرومانيين .

وفي المعاملات لا مشابهة بين القانونيين في النكاح والطلاق . فالاسلام لا يعرف الاقسما واحدا من النكاح وهو عقد يجمع الزوجين برضاهما . وعند الرومانيين توجد اصناف عديدة للنكاح الجائز ، بينما يعتبر أكثرها عند المسلمين كالزنا . وحدد المسلمون النكاح بحيث لا يزيد عن أربع زوجات حسب أوامر القرآن وليس كذلك عند الرومانيين . والطلاق غير متشابه في القانونيين .

وقانون الوراثة وتقسيم التركة عند المسلمين يفاير ما عند الرومانيين . وكذلك نظام القضاء وآداب القاضى ، ولزوم شاهدين اثنين عند المسلمين ، وتزكية الشهود كذلك لا توجد عند الرومانيين . وعند الرومانيين يلتزمون في الخصومة كلمات معينة وحركات معينة ، لا تعرف عند المسلمين .

والقانونان يختلفان حتى في المعاملات المالية فمثلا الربا غير محرم عند الرومانيين . وحتى أساس التجارة يختلف عندهما . فالبيع عند الفقهاء عقد برضا العاقدين، وهو عند الرومانيين عقد يتعلق بالمال .

ومن البديهي ان قانون العرب في جاهليتهم كان مبنيا على عرفهم وعاداتهم من قبل الاسلام ، فلما جاء النبي عليه

حتى الى السريانية او القبطية او العبرانية
او الحبشية او الفارسية القديمة .

ومن المعلوم ايضا ان القانون الروماني
لم يكن يطبق حتى في بلادهم من الشرق
الادنى . وهذا الاهمال كان منذ العصور
الاخيرة قبل الاسلام . اذا استثنينا
عواصم الولايات ومراكزها . اما في
سائر البلاد فالتناس كانوا يتحاكمون امام
اساقفتهم ، وهؤلاء كانوا لا يعرفون
القانون الروماني ، بل كانوا يعملون حسب
عادات بلادهم وتقاليدها وعرفها ، اما
الحكام في كبار البلدان فقد غادروا البلاد
على فور ما بدأ المسلمون بصولتهم .
حتى ان المدن التي فتحت في خلافة
سيدنا عمر ، كانت تعلن طاعتها على
أيدى الاساقفة ، كما نرى في كتب
التواريخ والفتوح . ولم يذكر ابدا
الموظفون المدنيون ولا قضاة المحاكم
في هذا الصدد .

المقنن عند الرومانيين هو موظف
الدولة . اما المسلمون ، فالفقيه لم يكن
ابدا الا رجل عادي من عامة الناس
تعلم وتفقه فافتى ودون كتب الفقه .

ولما نشر المؤلف بوست Post
كتاب قوانين الرومانيين لكايوس Kaius
ذكر في مقدمة ذلك الكتاب ان قانون اهل
روما كان اولا همجيا ، متأخرا جدا ، ولم
يتطور الا عندما تماسه قوانين اهل
الشرق الادنى .

هذه نقط لا ينبغي للمتعلم الباحث ان
يجهلها او يهملها عندما يتعرض لدراسة
الصلات بين القانون الروماني والقانون
الاسلامي (الفقه) . فلا يسمع الى ادعاء
اصحاب الغرض والعصبية بدون حجة
قاطعة او برهان واضح .

ان الفقهاء زمن « ولادة » القانون
الاسلامي وتدوينه كانوا اما في الحجاز
او في العراق ، من اهل السنة كانوا
او الشيعة او الزيدية او من الخوارج
(الاباضية) ، ولم يكونوا من سوريا .
والفقيه الوحيد من سوريا هو الامام
الاوزاعي . فقد ذكر الذهبي في تذكرة
الحفاظ عن احواله : ان الاوزاعي كان من
سبي اهل السند (أى من باكستان
الحالية) لا ممن نشأوا في جوار القانون
الروماني ، حتى ينقل آثار الروم الى
الفقه . والامام مالك من المدينة . والائمة
ابو حنيفة والشافعي وابن حنبل وزيد
ابن علي وجعفر الصادق كلهم اما من
الحجاز او العراق . ولم يذهب الشافعي
الى مصر الا في آخر عمره حتى يقال انه
تأثر من قانون روما في مصر .

نعم كانت في بيروت والاسكندرية
مدارس القانون الروماني . ولكن عطلت
وقفلت في القرن الذي مضى قبل
الاسلام .

ولما فتح المسلمون البلاد ، أعطوا لكل
طائفة - حسبما امر به القرآن الكريم -
الحرية التامة في القضاء والقانون .
فالنصارى كانوا يحضرون الى محاكمهم
حيث الحكام كانوا نصارى ،
وكانوا يطبقون قوانين الطائفة .
وكذلك اليهود والمجوس وغير ذلك .
فلم يكن هناك محل لتأثير قانون طائفي
على القانون الاسلامي .

وما كان الفقهاء يعرفون اللغة اللاتينية
(التي كتب بها القانون الروماني) ولم
تترجم تلك القوانين الى العربية ابد قبل
القرن العشرين الذي نعيش فيه . وأكد
المستشرقون ان تلك القوانين لم تترجم

جهد اطرو وأسواق

ياساعيا من فجاج الأرض في وله
جهد المحبة أشواق تبلّغنا
لله ما تبذل الأقدام ساعية
فان دنوت لدى العتبات مفتقرا
قد أوهن الظلف لما أبعد السفرا
وغيابة الجهد ان نحظى به فنرى
يمضى بها الشوق أو تقضى له وطرا
فأسعد الورد حتى تحمد الصدرا

ياساعيا من فجاج الأرض في وله
يروى على الجهد من رياروائحه
وافي حمام الحمى للركب منطلقا
قد أمن الحب من وافي على وله
قد أحسن الظن لما أزمع السفرا
ويستحثّ المنى من ذكره عطرا
فبلغ السفر عن خير الورى خبرا
وبارك الشوق بيعا رابحا فشرى

يا ساعيا من فجاج الأرض في وله
قد يجبس الحب للأفواه ما نطقت
ملى ركابك ان الشوق قد عبرا
ويسبق الشوق للأقدام ما سطررا

مددت كفك نحو الستر ملتصقا
وبان في العين لما سال مدمعها
وقلت للسيد المتبوع معذرة
يا خير من وطئت رجلاه أرض منى
لى عصابة من بناتي شاقهن هوى
حملتني شغفا جاءت لتشرحـه
قدمتها بين ايدي من اليه سـعت
ويافع من عزيز النجل حملـنى

غفر الشفيق فسال الدمع وانهمـرا
شوق المحب إلى من نطق الحجررا
ياخير من أكرم المعذور واعتذرا
فحال منها ثرى حصبأها دررا
إلى رحابك جم بالحنين سـرى
ام ترى عند خير الرسل مدخررا
كل البرايا إلى اعتابه زمـرا
مثل البنات فهل اكرمت من حضررا

محمود محمد الجرف (القاهرة)

الحديث و التاريخ

للاستاذ مالك بن نبي
مدير التعليم العالي بالجزائر

الاستاذ مالك بن نبي من كبار المفكرين الاسلاميين الجزائريين جمع بين الثقافتين العربية والفرنسية .. وهو هنا يعالج موضوع كتابة التاريخ في القديم والحديث : هل يكون مجرد سرد حوادث يشبه المتحف التاريخي او نبحت مع الحوادث اسبابها القربة والبعدة التي أثرت فيه ؟ ..

وقد قضى فترة من الزمن في مصر اخرج فيها مؤلفاته التي تمتاز بالغمرة والعمق منها : الظاهرة القرآنية ومشكلة الحضارة . ووجهة العالم الاسلامي . ثم عاد الى الجزائر بعد تحريرها ليشارك في بنائها عربية اسلامية مع ابنائها المخلصين « .
(الوعي الاسلامي)

التي يتم فيها النسيج التاريخي بفعل حوادث تجد تفسيراتها وغاياتها واسبابها ومسبباتها في هذا المجال أو الحقل .

وهكذا يوسع توينبي التصور التقليدي توسيعا ملحوظا يعمقه وذلك بتطعيمه بمفهوم « مجال البحث » الذي يطرح بالاطار الوطني حيث كان ينحصر تصور المؤرخ اليوناني (توسيديد) .

الا أن الاطار الجديد الذي يقترحه المؤرخ الانجليزي الكبير كان قد تداعى هو الآخر خلال القرون تحت وطأة دفع حوادث تاريخية اقوى واكثر تشابكا من أن نلتمس لها تفسيراً فيما يسميه المؤرخ الكبير بمجال البحث .

لقد كان التاريخ الى حد القرن العشرين شبه متحف حيث كان يأتي المؤرخ ليتزود بالمعلومات عن شعب ما وذلك في زاوية معينة مخصصة لهذا الشعب وسياسته وفنه وأدبه وفلكلوره .. ذلكم هو التصور التقليدي للتاريخ .

بيد انه كان من الممكن بالنسبة للمؤرخ أن يلاحظ في بعض الاوقات السمة المشتركة وصلة الرحم بين بعض زوايا المتحف .. فهو اذ ذاك أمام « وحدة » تاريخية معينة .

ولقد يسمى ج.أ. توينبي هذه الوحدة بحقل الدراسة أو مجال البحث . ومجال البحث هذا عبارة عن المساحة

ذلك فهو تصور لا شك أنه كان يغيب
عن وعي الأمير التتارى نفسه .
وما هي قيمة معركة ((مارينيان)) على
سبيل المثال اذا قيست بأحداث على هذا
المستوى من التأثير العالمى ؟ وعلى هذا
يبدو لنا ان التاريخ نسيج معقد مما هو
عارض وما هو مقدر .

وانني أتذكر وأنا اكتب هذه الجملة
انتقادا وجه الي في صحيفة باريسية غداة
نشر كتاب ((وجهة العالم الاسلامي))
بانني أحمل السببية في التاريخ أكثر مما
تتحمل . ولو أجبنا على هذا الانتقاد
لقلت بكل بساطة انني لست أحمل
التاريخ ، بل هو الذى يحملني . ولست
ارى داعيا لازاحة البصر عن تصور يفرض
نفسه علينا . والواقع ان هذا يستدعى
اقامة نظرية كاملة للحادث التاريخي .

ان الحادث عند انقذافه يكون محملا
بكل ما تستطيع الطبيعة البشرية أن
تودعه فيه من غرض مصلحي وهوى
وظموح وبغض ووهم الخ . . .

انه صاروخ منطلق في الزمان مدفوع
بكل ما يحرك الانسان . ولا ريب
أن اثره ذو بال ولو اقتصرنا على النظر
اليه من هذا الجانب البشرى . فقد يكون
غزوا يغير الخريطة السياسية أو ثورة
تغير حياة أمة أو ميلاد دولة أو سقوط
اخرى أو ظهور فن صناعي أو اختفاء
فن آخر .

وكل هذا يتحقق ما يكون قد سبق
تصميمه وتديره عند منشئه وقد لا يحققه
ولكن دائما في إطار ((مجال بحث معين)) .

لقد كانت الحرب العالمية الاولى حادثا
تسببته ارادة التوسع الألمانية - اذا
وضعنا حادث سراجيفو البسيط جانبا -

البقية على ص ٣٧

فسقوط الدولة الرومانية مثلا ظاهرة
ينسبها المؤرخون الى موجة المهاجرين
الغارمة التي تدافعت على شعوب الشرق
الاوروبي ، فدفعت بهم الى غزو الغرب
اللاتيني . ويفسر فعلا الحادث في مشكلة
كهذه في نطاق « مجال البحث الاوروبي »
بيد اننا اذا ذهبنا بالتحري مذهبنا أبعد
بأن نطرح هذا السؤال . . ترى كيف
نشأت هذه الموجة التي يسميها المؤرخون
الالمان « الفولكار فاندرونغ » .

أى موجة الشعوب هي الاخرى ؟ ففي
الحال يحطم سؤالنا هذا نطاق ما يسميه
المؤرخ الانجليزي بحقل الدراسة لان
الظاهرة التي كانت الى الآن شيئا أوروبيا
تصبح فجأة « حدثا » آسيويا . وبالفعل
فان تداعي اسرة مالكة صينية قبل ذلك
بقرون هو الذى دفع قبيلتين منغوليتين
على المسارعة للنهب والسلب بحيث
اصطدمتا ، فكان لاصطدامهما اثره البعيد
في دفع شعوب الشرق الاوروبي في التيار
المسمى « موجة الشعوب » أو « الفولكار
فاندرونغ » . فها هنا حدث معبر على
تصور تاريخ عالمي على مستوى ذلك
الزمن .

وهناك حدث آخر وقع بعد ألف عام
من ذلك لا يقل كشفا عن التصور التاريخي
العالمي في العصور الوسطى . . ذلكم هو
تدخل « تيمورلنك » الذى يغير مجرى
التاريخ لان حفيد جنكيز خان قد ظهر
بالضبط في الوقت الذى كان يستعد
الامير العثماني « بايازيد » وملك القبيلة
الموغولية المسماة بالقبيلة الذهبية
« توغطاميش » - أحدهما في الغرب
والثاني في الشرق على غزو أوروبا تلك
القارة التي كانت تنفض عنها غبار القرون
الوسطى ، وأخذت تدخل طريق النهضة .

وهكذا ينقد عمل تيمورلنك جميع
آمال هذه النهضة التي تشكل من غير
منازع المقدمة التاريخية لعصر الذرة
الذى نعيش فيه .

هل ((تيمورلنك)) جد عصرنا ؟ فهذا
تصور لم نعهد في التاريخ وبزيادة على

أحمد بن حنبل

● امام من أئمة الفقه والحديث والورع

● والامام الاوحد في التمسك بالحق

● والاستهانة بصنوف العذاب والوان التنكيل

● التي قاساها عدة سنين .

● حياته درس وعبرة للعلماء والحكام .

في الجيش بعد ، ولعل عمله في الجيش سبب انتقاله الى بغداد قاعدة الحكم ، وملتقى القواد .

غير أن أحمد نشأ يتيما لوفاة والده أيام طفولته ، فلم ير أباه ، ولا جداه ، ولم يكن أبوه حين الوفاة قد جاوز الثلاثين من عمره ، فلم يدرك أن يدخر مالا أو عقارا إلا دارا ببغداد كان يسكنها ، وبعد وفاته أقامت الزوجة مع طفلها أحمد في جانب من الدار ، وأجرت الجانب الآخر بدرهيمات ، كانت تستعين بها على العيش ، حاضنة لولدها الصغير ، وعلى هذا الحال تعهدت الام صفية ابنها أحمد حتى بلغ مبلغ الفتيان ، وانتهى من تعلم القرآن ، مبرزاً فيه تبريزاً لفت اليه الانظار ، وأثار حوله العجب .

هو أحمد ، بن محمد ، بن حنبل ، بن هلال الشيباني ، ويمتد نسبه الى نزار بن مسعد ، ثم يصعد في هذا الاصل الشامخ الى اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام

في سنة اربع وستين ومائة من الهجرة خرج محمد بن حنبل من بلده (مروة الى بغداد مقر الخلافة العباسية . وكانت زوجه صفية بنت عبد الملك الشيباني رفيقة سفره : وهي حامل حينذاك . . . ، وفي ربيع الأول من السنة عينها وضعت الزوجة في بغداد طفلها - أحمد بن حنبل - وهو امانا الذي نتحدث عنه .

كان جده حنبل واليا على مرخس في ظل العباسيين ، وكان أبوه محمد قائدا



لفضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكي

رئيس لجنة الفتوى وشيخ الحنابلة بالأزهر

٢ : - في السادسة عشرة من عمره نهض الى طلب الحديث وجمعه في نشاط غريب من مثله ، وكثير على سواه حتى قال هو عن نفسه بعد : (كنت ربما اردت البكور في الحديث ، فتأخذ أمي بثيابي وتقول : حتى يصبح الناس توفر على الرواية .. ، وأكب على التحصيل .. فلم يشغله عن هذا طلب عيش ولا رقة حال ، ولا تعرف الى ذى سلطان ، ولم يقعد به خلو يده عن الاسفار والسعي وراء العلماء في كل واد :

رحل من بغداد الى الكوفة ، ونزل البصرة ومكة .. وطاف بالمدينة واليمن وقصد الشام والجزيرة ، وهبط على خراسان وفارس ، ويمم بلاداً أخرى كثيرة يتتبع شيوخها ، ويلقى علماءها ، ويأخذ عن كل ما لديه من الحديث .

مما يصح عنده ، ويطمئن اليه . فلم يفته عالم سمع به ، ولا بعدت عليه جهة يستقي منها العلم بسنة الرسول ، وما أثر عن اصحاب الرسول ، ولقد أعيته النفقة يوماً عن الوصول الى بلاد الري ليأخذ عن عالمها جرير بن عبد الحميد ، فكان يتأسف لعجزه ويقول : لو كانت عندي خمسون درهما كنت خرجت الى الري الى جرير بن عبد الحميد ، ولكن خرج بعض اصحابنا ، ولم يمكنى الخروج ، ولم يزل حريصاً على لقاء جرير هذا حتى لقيه ببغداد في رحلة جاء فيها

جرير ، والتمس احمد من علمه ما تهيأ له ، ويحدثنا عنه احمد بن سنان من سراة القوم في واسط فيقول : قدم علينا احمد بن حنبل في جماعة من البغداديين الى الشيخ يزيد بن هرون - واستقرضوني كلهم مالا وردوا الا احمد بن حنبل ، لم يستقرضني بل اعطاني فروة له فبعتها له بسبعة دراهم «

وقد هون على احمد هذه المشاق ، وسهل عنده تلك المصاعب حفظ نادر ، وفهم ممتاز ، ورغبة لا يلحقها ملل ، وتوفيق لم يعهد مثله الا في رجال اختصهم الله تعالى بفضله ، وقيضهم لحفظ السنة ، وضبط الشريعة وصيانة الاحكام . قال أبو زرعة : كتب احمد بن حنبل ليس في اوائل اجزائها اسماء

المحدثين الذين سمع عنهم ، فكان يحفظ كل جزء ممن سمعه ، وقال كذلك حرزت كتب احمد في اليوم الذي مات فبلغت اثني عشر حملا وعدلا ما كان على ظهر كتاب منها حديث فلان ولا في بطنه حدثنا فلان وكل ذلك كان يحفظه من ظهر قلبه ، والروايات عنه في تقدير مواهبه تملأ الصفحات ، وقد دأب احمد على رواية الحديث ، والتردد من بلد الى بلد ، ومن شيخ الى شيخ ، حتى بلغ الأربعين من عمره فاستوى له ان يجلس للتحدث ، وكان قبل يمتنع أن يجلس لذلك ويمتنع ان يجلس للفتوى ، الا ما كان يسأل عنه من علم عنده . وكثيرا ما كان يحيل السائلين على معاصرة من العلماء بعدا عن التورط في الفتوى وهي سنة الصحابة والتابعين .

مكانته في الحديث

استطاع احمد ان يجمع من الحديث خمسين الفا وسبعمائة الف حديث ثم نقدها نقد الصيرفي الخبير حتى صفاها من الدخيل ، وأستقر به الأمر على نحو من اربعين الفا دون احمد هذه الاحاديث في كتابه المشهور بالسند وحرص عليه حرص البخيل على ماله ، وكان يقول لابنه عبد الله ((احتفظ بهذا المسند فإنه سيكون للناس اماما)) ، ويقول اسحق بن حنبل قريبه وتلميذه جمعنا احمد : انا وصالح وعبد الله ابنا الامام ، وقرأ علينا المسند ، وما سمعه منه غيرنا ، وقال لنا (هذا كتاب قد جمعته وانتقيته من اكثر من سبعمائة ألف وخمسين الف حديث فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجعوا اليه فان وجدتموه فيه والا فليس بحجة) وكانت هذه هي مكانته في الحديث .

محنة الامام احمد

على عهد الرشيد توقدت جمرات

الخلاف المذهبي بين المعتزلة وغيره من الطوائف ، ونبتت الفكرة بان القرآن مخلوق - يعني ليس بقديم - ثم اندلع لهيب الفتنة أيام المأمون والمعتصم من بعده ، وأخذت بدعة القرآن في مد وجزر بين الداعين اليها من امثال بشر المريس واحمد بن داود قاضي بغداد وبين المعارضين لها من امثال احمد بن حنبل ومحمد بن نوح وغيرهما من وجوه العلماء ، وكان المأمون يشد أزر المبتدعين لهذه الاحدوث ، ويعمل على كسب انصار لها من امثال احمد بن حنبل ممن هم في مكان القدوة بين الناس ، وبعد محاولات عدة ومناظرات حادة يئس المأمون من احمد ومن معه من المعارضين فأعمل سيفه في رقاب نفر منهم وزج في السجن بآخرين . منهم ابن حنبل .

فلبت في السجن ثمانية وعشرين شهرا - بين اخريات عهد المأمون وأول عهد المعتظم - لقي فيها من ضروب الهوان والايذاء ، ما لا يطيقه انسان ولا يصفه قلم ، تقلبت عليه احداث وحيكات له الدسائس من رجال المعتصم ، وهو لا يلقي ذلك الا بيقين راسخ ، وصبر لا يهين ، وجلادة تزيد الخصوم بأسا منه وحيرة في أمره .

تمسكه برأيه

كان يؤتى به من السجن مقيدا مهانا الى مجالس المناظرة ، ويواجه فيها بأحمد ابن أبي داود ، واحمد بن رباح ، وأبى شعيب الحجام ، وأمثال هؤلاء من بطانة الخلفاء فيقيم عليهم الحجة ، ويلزمهم الخزي ، فيضاعفون القيد في رجله ، ويعاد الى السجن مخلوع النعلين مسحوبا في مذلة ، ثم تتجدد المأساة من ساعة الى ساعة ويضرب بالسياط المبرحة مرة بعد مرة ، ويقطع عنه الزاد يوما وأياما ، فما يكون منه الا ثبات على حقه وأزدراء لباطلهم ، واستهانة بكل ما يصنعون ، ومما اثر

طوال ، وقصص عجيب ، كلها تدل على كمال الايمان ، ورسوخ العلم ، وقوة الحججة ، كما تدل على ان بطانة السوء شر ما يتلى به الامراء والرؤساء .

تراجع المعتصم

واخيرا يؤس المعتصم من اخضاع احمد فأشار عليه بعض بطانة السوء ان يقتله ، ولكن آخرين منهم تخوفوا ان يكون قتله سببا في فتنة شديدة ، وهياج عام لتعلق الناس به ، وتخوفوا كذلك ان يكون القتل سببا في فتنة أخرى في زيادة حب الناس لأحمد ، وتعلقهم به اكثر اذا رأوه وصبر حتى قتل .

هم يحسدوني على موتي فواعجبا حتى على الموت لا اخلو من الحسد

وقد جنح المعتصم لهذا الرأي وحضر عم الامام احمد ، وبعض اهله ، وأشهدهم على ان احمد صحيح البدن ، وقال قد سلمته اليكم صحيح البدن .

في عهد الواثق

وبهذا سكت الناس وهدأوا ، ولم يكذب يخرج احمد من سجنه ويعود الى مجالس العلم اياما حتى توفي المعتصم وخلفه الواثق بالله فاستدعى احمد ، وافهمه انه سوف لا يتعرض له ، وانما يطلب منه الا يظهر في بلد يسكنه الخليفة ، فاعتكف احمد بعد ذلك نحو اربع سنوات من سنة ٢٢٨ - ٢٣٢ وكان اعتكافه في دار ابراهيم بن هانئ النيسابوري .

ويروى عنه ابراهيم هذا انه طلب منه يوما ان ينقله من مكانه الى مكان سواه ، فقال ابراهيم اني اخشى عليك يا ابا عبد الله ان تراك العيون ، فقال له احمد ان فعلت افدتك ، فنقله الى دار اخرى ، فقال له يا ابراهيم اختفى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفار ثلاثة ايام ثم تحول ، وليس ينبغي ان يتبع رسول الله في الرخاء وفي الشدة .

عنه في ابان هذه المحنة ان الخليفة المعتصم امر به يوما فجيء به من السجن وأوقفه بين يديه وقال له - وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ضربتك بالسياط حتى تقول كما اقول بخلق القرآن ، ثم التفت الى الجلاد ، وقال له خذ اليك ، فأخذه ناحيته وبدأ يضربه ، وحينما ضربه السوط الاول قال احمد باسم الله وفي الثاني قال ولا حول ولا قوة الا بالله ، وفي الثالث قال القرآن كلام الله غير مخلوق ، وفي الرابع قال لن يصيبنا الا ما كتبه الله لنا . ثم ما زال الجلاد يضربه الى تسعة وعشرين سوطا ويقول ميمون بن الاصبغ حينما بلغ الضرب الى السوط التاسع والعشرين انقطعت التكة من سراويل احمد (رباط اللباس) فقلت الساعة ينهتك ، فرمى احمد بطرفه الى السماء ، وحرك شفتيه ، فثبت السروال ولم ينزل ويقول بن الاصبغ هذا فدخلت الى احمد في سجنه بعد سبعة ايام ، وقلت له يا ابا عبد الله ارايتك يوم ضربوك قد انحل رباط سروالك فرفعت طرفك نحو السماء ، وحركت شفتيك فأى شيء قلت) قال احمد : قلت اللهم اني على الصواب فلا تهتك لي سترا . ولما تضاعفت المأساة بعد هذا تأذت نفس المروزي وهو صاحب احمد وتلميذه ، فدخل عليه السجن يوما ، وقال له : يا استاذ قال الله تعالى (ولا تقتلوا أنفسكم) يريد منه ان يوافق الخليفة على قوله - ولو ظاهرا - لينجو من الهلاك ، فقال احمد : يا مروزي اخرج فانظر أي شيء ترى ، فخرج المروزي الى رحبة دار الخليفة ، فوجد جمهرة من الناس لا يحصيها العدد ، وبأيديهم الأقلام ، والمحابر فسألهم المروزي أي شيء تعلمون ؟ فقالوا ننتظر ما يقول احمد فنكتبه ، فدخل المروزي على احمد وأخبره بذلك فقال له احمد يا مروزي هل أضل هؤلاء كلهم ؟؟ انا اقتل نفسي ولا أضلهم .

وفي هذه المحنة واحاديثها فصول

تحول في صالح الامام

وظل احمد على اختفائه هذه المدة حتى توفي الواثق ، وولي من بعده المتوكل . جاء المتوكل بسياسة جديدة ، فأنكر ما كان يدعو اليه المأمون والمعتصم ، وقاوم المفسدين بشجاعة لم تنهيا للواثق ، وآزر أهل السنة وشجعهم بماله وسلطانه ، حتى خبت نار الفتنة ، وعاد الحق الى نصابه واستطاع الامام احمد وتلاميذه ان يستردوا حريتهم المفصوبة ويعودوا الى مجالس العلم آمنين والى اعلان كلمة الحق مطمئنين .

مذهبه في الفقه وما يقال عنه

غلبت على الامام احمد نزعتة الى روايات الحديث وتدوينه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن يعني بالتأليف في الفقه ، ولا يدعو الناس الى التدوين عنه ، بل كان ينهي ان يكتب كلامه سائله ، ويود لو ان الناس سلكوا مسلكه ، وتتبعوا حديث الرسول والمأثور عن اصحابه وكان يقول عليكم بالحديث ، ويقول انما أمرنا ان نأخذ العلم من فوق . ومن اجل ذلك لم تكن له مؤلفات بعد المسند ، الا رسائل محدودة في الورع، وفي الصلاة وفي الناسخ والمنسوخ، وفي المتقدم والمؤخر في القرآن ، وفي جوابات القرآن ، وفي المناسك .

وهذا التمتع عن التأليف لثلا يضيق وقته عن خدمة السنة ، والسنة عنده بعد القرآن هي كل شيء ، وأعز من كل شيء ، والله سبحانه وتعالى يعلم حسن قصده ، فحفظ علمه ونفع به عباده ، اذ وفق تلاميذه ان يدونوا مسائله ، ويثبتوا كل ما عرفوا عنه من احكام ، فكتبوا في هذا اكثر من ثلاثين سفرا ، وظلت هذه الثروة العلمية تراثا خالدا للاسلام ، وشاء الله ان يمتد فضل هذا الامام فلم يبق مذهبه في العراق ، بل امتد الى الشام ومصر ، بل صار

المذهب السائد المعتمد به في المملكة العربية السعودية ، وأن مذهبا يقوم على السنة ويستظل بلوائها ، لجدير به ان تخفق رأيته في بلد ترعزت فيه السنة ، وأشرقت فيه شمس الاسلام .

مكانته في الفقه الى جانب مكانته في الحديث

لم يكن احمد معنيا بجمع الحديث لمجرد الحفظ والشهرة ، بل جمعه وعنى نفسه في تحصيله - ليصل الى كل ما شرع الله ، وليعرف ما يتجه اليها في خطاب الله ، وقد تسنى له ذلك على ضوء علمه الغزير بالسنة ومعرفته الواسعة بكتاب الله ، وقدرته الممتازة على تأويل الآيات او تفسيرها ، وأخذ ما يؤخذ من الفاظها ومعانيها فكان له في الفقه مجال فسيح ، وفهم صحيح ، وكانت لمذهبه اصول وقواعد كلها موضع القبول عند الآخذين عنه ، كما كانت موضع الاجلال عند معاصريه من عظماء زمانه .

وأى الناس أعرف بالامام احمد من اقرانه وشيوخه وتلاميذه وهذا هو الشافعي رضي الله عنه يقول ((خرجت من بغداد ، وما تركت فيها احدا اورع ولا اتقى ولا افقه ولا اعلم من احمد بن حنبل)) وهذه شهادة من شيخ لتلميذه ، وتلميذ لشيخه فقد اخذ كل منهما عن الآخر ، وكل يعرف صاحبه حقا ، وكذلك يقول قتيبة بن سعيد ((لو أدرك احمد عصر الثوري ، ومالك والاوزاعي والليث ابن سعد ، لكان هو المقدم)) وكان ابو القاسم بن الخليلي يقول كان احمد بن حنبل اذا سئل عن المسألة كان علم الدنيا بين عينيه ، ويقول اسحق بن راهوية ، كان احمد اماما للدنيا . فنحن ازاء هذه الشهادات وأمثالها ، وازاء ما نعرف عن مذهبه بمزاوتنا له ، لا يسعنا أن نضعه في الفقه الا في الصف الأول من الأئمة ، كما اعتبروه في الحديث امام الأئمة .

((يتبع - البقية في عدد قادم))

بقية : الحادث والتاريخ

تلكم كانت شحنتها التاريخية عند انطلاقه .

وقد كانت الحرب العالمية الثانية حادثا مماثلا اطلقته ارادة القوة « الهتلرية » . ولكن الصاروخ يذهب الى ابعد . انه يخرج بعد انقذافه عن المسار الذى قدره العقل البشرى له . فكأنى به تتغير شحنته تدريجيا فى الطريق فلم يعد يندفع فى الزمان او التاريخ تبعاً لسببية ولكن بمقتضى غاية . وفى نهاية مستقره وغاية مطافه يصيب الحادث الوجدان البشرى . ولا يحدد وقعه فى مجال حقل دراسة معين أى فى حياة أمة أو مجتمع ولكن فى مجال شامل للانسانية .

ان الحرب العالمية الاولى لا تطيح بال « الهوهانزولارن ، والهاسبورغ » فقط ، ولكنها تنشئ فكرة جديدة تجسدت فى شكل « عصبة الامم » .

ان وقع الحادث لم يهدم بعض البناءات السياسية فقط ولكنه ولد مفهوما دوليا للمسؤولية الا ان بعض التركيبات الذهنية الخاصة بالقرن التاسع عشر قد تخلفت كما نرى ذلك عندما تتوزع عصبة الامم المنبثقة من وعي الانسانية رغيف المستعمرات الاخرى .

ان الحرب العالمية الثانية لم تكتسح المطامح الهتلرية والنظريات العنصرية فحسب ولكنها اخرجت الى الوجود هيئة الامم المتحدة . وربما يقول حفتنا ان القبلة الذرية لم تهدم « هروشيما » و « نجازاكي » فقط ولكنها وترت وارهمت الشعور بالمسؤولية الدولية ففجلت بتكوين وعي عالمي .

ومن الغرور أن يقال ان هذا الامر كان يشغل العالم الفزيائي أوبانهايمر عندما كان فى فيافى النيفادا يضع آخر لمسة على القبلة التى ستهدم هيروشيما .

ان وقع حادث ما اطلقت عنانه الارادة

البشرية يخرج فى النهاية عن رقابتها . انه صاروخ مقذوف فى الزمان يتجاوز دائما تقديراتنا وحساباتنا الامر الذى اشار اليه عز وجل فى قوله . . (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) . والواقع ان المؤرخين الذين يصنفون التاريخ يعوزهم شيء من الحرية . او بعبارة اخرى فالتاريخ الذى تهدف اليه ارادتنا يكون دوما دون التاريخ الذى تحققه فسبب المنطق الكارتيزيائى الذى يقتصر حكمه على الحوادث على النظر اليها من زاوية الاسباب يفتب على نظرهم جزء اساسي من مدار الاحداث .

وبما ان الصاروخ لا يندفع - فى هذا الجزء بفعل قوى تحصر فى مبدأ السببية ولكنه يخضع فيما يبدو لمبدأ فان . فان المؤرخين يهملون بهذا جانباً عظيماً من فلسفة التاريخ .

مع ان الحادث يحقق معناه الكامل ومؤداه الشامل عندما يبلغ مرصاه وغايته فى التاريخ . الا ان اكتشاف هذا الجانب الثاني من معنى الحادث يتطلب من المؤرخ مزيداً من الحرية على ما يمنحه المنطق الكارتيزيائى .

وان « ايمانوال مونى » أحد هؤلاء « المتحررين » استطاع بصره ان يرى - على حد تعبيره - شمولا فى الظاهرة التاريخية بحيث يأتي كل حدث فيها ليقوم بدوره لخير المجموع ونجاته .

وهذا التصور لا يحيط رغم تعمقه الا ببعض جوانب الموضوع . فعلى ان نفوس فى قلبه وان نميز فى الظاهرة التاريخية جانبين . . الجانب العرضي البشرى والجانب القدرى كما يراه « مونى » .

ولا أظن ان هذا التصور التاريخي يمكن الاستغناء عنه فى لحظة بلغت فيها مأساة الانسانية اشد توترها ، حيث نرى بروقا مهددة فوق اعالي جبال الكاشمير ومستنقعات الفيتنام .

بل صحیح البخاری

أصح الكتب بعد كتاب الله

نشرت مجلة العربي في عددها الاخير الصادر في فبراير ١٩٦٦ كلمة عن صحيح البخارى جعلت عنوانها « ليس كل ما في البخارى صحيحا ، وليست هذه الاحاديث مفتراة فحسب بل منكرة » بقلم سكرتير التحرير الاستاذ عبد الوارث كبير .. وجعلت عنوان هذا الموضوع مادة للاعلان عن المجلة في الاذاعة والتلفزيون والصحف .. مما لفت انظار الناس بشدة نحو هذا الموضوع واثار كثيرا من تساؤلهم واستنكارهم ، وشفلنا منذ صدور هذا العدد بكثير من الرسائل والمكالمات الهاتفية التى تسالنا رايانا فيما نشر ..

والحق اننا عيننا منذ قرانا وسمعنا الاعلان عن المجلة بقراءة ما كتب في هذا الموضوع وخرجنا من هذه القراءة باسف عميق ، فان كل كاتب يتصدى لما تصدى الكاتب له يجب عليه ان يدرس ويتثبت قبل ان يظن ، ولا يكفيه مجرد الاعتماد على فهمه السطحي للحديث ...

وقد نبه علماء الحديث الى ذلك في كتبهم المتداولة ، ومن الممكن لمن يتصدى لمعرفة قيمة هذه الأحاديث أن يرجع الى هذه الكتب .

ولذلك لم يكن يصح ايراد هذه الاقوال وايهام القراء أنها من صحيح البخارى ، لأن المجال مجال التحدث عن صحيح البخارى ..

٢ - : بعد ذلك أورد الكاتب ثلاثة أحاديث أنكرها ، وصرح بأنها غير معقولة مع أن اثنين منها وردا في صحيح البخارى .

وتوضيحا للحقيقة وتطمينا للنفوس نضع امام القراء ما يلى : -

١ - : الاقوال التى أوردتها الكاتب على أنها أحاديث في بدء كلامه موهما القارىء أنها من صحيح البخارى مثل : « اختلاف أمتى رحمة » ، و « الدنيا حرام على اهل الآخرة » و « الطاعون وخز اخوانكم الجن » . « اتخذوا الحمام المقاصيص » « عليكم بالقرع » « زينوا موائدكم بالبقل » الخ .. كل هذه الاحاديث موضوعة أو ضعيفة ولا يعتد بها ، ولم ترد في صحيح البخارى ،

الحديث الاول :

عن عائشة رضى الله عنها قالت
« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يأمرنى فاتزر فيباشرنى وانا حائض »
(رواه مسلم والبخارى . .) وقد فهم
الكاتب - خطأ - ان المباشرة معناها هنا
الوطء ، ورتب على هذا الفهم أن في
الحديث مخالفة صريحة لقوله تعالى
« فاعتزلوا النساء في الحيض . . » وقال
« فليس هذا الحديث صحيحا لأنه لا
يعقل أن يصدر الفعل المنكر عن نبي بل
عن سيد الانبياء » .

والحقيقة : أن هذا الحديث صحيح ، وليس
معناه كما فهم الكاتب ، فقد فسر العلماء المباشرة
هنا بملاصقة البشرة للبشرة ، فيما دون ما تحت
الازار ، ولم يفسروها بالوطء كما فهم الكاتب ،
وقد استند العلماء في فهمهم هذا الى ما روى في
حديث آخر قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم
« اصنعوا كل شيء الا النكاح » والاحاديث يفسر
بعضها بعضا . وقد نقل الاجماع على جواز مباشرة
الزوج لزوجته في فترة الحيض فيما فوق السرة
وتحت الركبة . .

وحكمة التشريع في هذا واضحة ، إذ أن في
جواز ذلك تنفيذا عن الغريزة لدى الزوجين
بعيدا عما أمر الله بالبعد عنه حالة الحيض . .
وقد كان اليهود يتجنبون المرأة اجتنابا تاما في
هذه الحالة كأنها منبوذة ، فلا يؤاكلونها ولا
يشاربونها ولا يضاجمونها ، بل ولا يقيمون معها في
مكان واحد ، حتى ينقطع حيضها ، واثرت هذه
العادة على العرب الذين يعيشون معهم ، وفي ذلك
من العنت ما فيه ، فكان توضيح الرسول صلى
الله عليه وسلم لمعنى الآية تصحيحا لهذا الوضع
الخطأ ، وازالة للعنت وتمشيا مع دين الفطرة
الوسط .

روى مسلم في صحيحه عن أنس رضى الله عنه

أن اليهود كانوا اذا حاضت المرأة فيهم لم
يؤاكلوها ولم يجتمعوا معها في بيت واحد ، فسأل
الصحابه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ،
فنزلت آية « ويسألونك عن الحيض . . الآية » ،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل
شيء الا النكاح ، فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد
هذا الرجل « يعنون النبي » ان يدع شيئا من
أمرنا الا خالفنا فيه ، والحديث بتمامه مروى
في صحيح مسلم ، وفي كتب التفسير لآية الحيض
الواردة في سورة البقرة ، وبهذا يتضح معنى
الحديث الذى أنكره الكاتب ، ولو كلف نفسه
الاطلاع على شرحه لما أنكره ، بل لاشاد بحكمة
الشارع فيما ذهب اليه .

الحديث الثانى :

« ان رجلا اتى عمر فقال « انى
أجنب ، فلم أجد ماء ، فقال عمر لا
تصل » هذا الحديث أنكره الكاتب بناء
على فهمه الظاهرى او السطحى له إذ
كيف يجهل عمر أن الجنب اذا لم يجد
الماء تيمم كما ذكرت الآية « او لامستم
النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا . . . »
وبناء على فهمه هذا سارع فأنكر الحديث
وطعن في صحيح البخارى كله . .

والحقيقة : أن هذا الحديث صحيح وعمر
رضى الله عنه لم يجهل آية التيمم ولكنه - وهو
الرجل الحصيف دائما - لم يأمر الرجل به لأن
التيمم مع مظنة وجود الماء قبل فوات وقت الصلاة
باطل وعمر كان يرجح وجود الماء ويرى أن الرجل
متهاون في طلبه . فكان بذلك يعالج حالة خاصة
ويخشى ارتكان الناس على الرخصة واستعمالهم
اياها دون وجود مبرراتها ، فلم ينه عمر - اذن -
عن الصلاة مطلقا في هذه الحالة بل نهاه عن الصلاة
حتى يحمله على طلب الماء وعدم الكسل في البحث
عنه . . وهذا وجه من وجوه الفهم للحديث ويقويه

في رواته حتى بينوا ضعفه ، وعدم الثقة به ، أو الاعتماد عليه ولا سيما ما جاء في آخره « فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك فقال خذها عن عمك » مما يوهم أن الرسول أقر ذلك . . فيبقى على أكثر تقدير فهما لاحد الصحابة لم يقره عليه أحد . . ولم يقل الذين تحدثوا عن هذا الحديث أنه موجود في صحيح البخارى حتى يشنع عليه به .

وبعد . فاننا نرى من الواجب أن نقول لكل الذين يعتمدون على عقولهم في قبول الاحاديث ورفضها أن هذا الطريق ليس مأمون المواقب ، فان العقول كثيرا ما تضل وتزل ، ولو تركنا الباب مفتوحا للعقل يتحكم في كل ما جاء في كتب الحديث الصحيحة - فيقبلها أو يرفضها - لكان معنى ذلك تارجح الاحاديث في العصور المختلفة ، تبعا لافهام الناس ، فقد يرفض حديث في زمن ، ثم يقبل في زمن آخر ، وبالعكس وتكون النتيجة ضياع الثقة بالاحاديث ، ولا سيما تلك التى أفنى العلماء السابقون عمرهم في البحث عنها وغربلتها ونقدتها ، ونقد رجالها ، وانتهوا من كل ذلك الى احاديث صحيحة لا يتطرق اليها الشك .

لقد وضع العلماء السابقون موازين مضبوطة لقبول الحديث أو رفضه ، وخدموا بذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم خدمة كانت ولا تزال مثار اعجاب العالم كله . وكل حديث من الاحاديث المروية بينوا درجته من الصحة او عدمها . . وفتح الباب للظن على هذه الاحاديث بناء على عقل الطاعنين ، ودون دراسة أو تبصر ، أمر يهدم ثقة الامة باحاديث رسولها ، ويضيع عليها المصدر الثانى من مصادر التشريع بعد كتاب الله . . وفي ذلك من الخطر ما نرجو أن يحفظ الله الامة منه .

والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

حديث آخر صريح في هذا المعنى (رواه البخارى ومسلم) فقد روى عن شقيق بن سلمة قال : كنت عند عبد الله وابى موسى فقال له ابو موسى: أرايت يا أبا عبد الرحمن اذا اجنب الرجل فلم يجد ماء كيف يصنع ؟ فقال عبد الله لا يصلى حتى يجد الماء الى أن قال . . انا لو رخصنا لهم في هذا لأوشك اذا برد الماء على أحدهم ان يدعه ويتيمم ، فقلت لشقيق فانما كره عبد الله لهذا ؟ قال نعم، فكأن منعهم الناس من الصلاة حين عدم وجود الماء ليس معناه سقوط الصلاة عنهم نهائيا بل التشديد عليهم ، وعدم فتح باب الرخصة لهم ليستعملوها في غير مكانها . . كما هو واضح صراحة من قول عبد الله .

وهذا المعنى جميل ، وكم كان لعمر رضى الله عنه من نظرات أصيلة في فهم الدين أيام الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده . منها على سبيل المثال منعه أبا هريرة من أن يبلغ قول الرسول « من قال لا اله الا الله دخل الجنة » خوفا من أن يتكل الناس على ظاهرها ، وقد أقره الرسول على ما فعله . .

وكان على الكاتب أن يرجع الى شرح الحديث وما قاله العلماء فيه قبل أن يسارع بانكاره بناء على فهمه السطحي له . .

أما الحديث الثالث :

الذى أورده وهو الخاص بأكل البرد النازل من السماء في رمضان والذي يفيد أن أكله لا يفطر الصائم . . فقد طعن فيه نقاد الحديث ولم يأخذوا به ، وقالوا عنه : انه منكر واسناده ضعيف ، وليس مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم . وبالرغم من أن كثيرا من رواة الاحاديث رووه ، لكن نقاد الحديث تعقبوه وطعنوا

العمرة

(العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما) حديث متفق عليه

للاستاذ الشيخ محمد محمد الشرقاوى
المدرس بمعهد الاسكندرية الازهرى

بالنسبة لمن يؤديها منفردة عن الحج .. اما من جمعها مع الحج في اشهر الحج فلا شك في افضلية هذا الجمع على الانفراد (على رأى الحنفية) وهذا يعنى ان من اراد الاتيان بالعمرة على أحسن وجوهها منفردة ففي رمضان ومن اراد الاتيان بالحج على أحسن وجوهه ، قرنه بالعمرة في أشهره ، وان كان للمالكية والشافعية رأى اخر .

وقد فعلها الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته اربع مرات كلهن بعد الهجرة .. وكلهن في ذى القعدة .. كلهن من خارج مكة .. بمعنى انه احرم بهن جميعا في شهر ذى القعدة ..

ولم يحرم الرسول عليه الصلاة والسلام بعمراته في رمضان ، مع انه ارشدنا الى ان شهر الصيام هو افضل اوقات العمرة .. لان رحمته بأمته اقتضته

كانوا يسمونها قديما « الحج الاصفر » ومعناها زيارة البيت الحرام بقصد التعظيم والتحية ، والتقرب من هذا السبيل الى رب البيت العتيق ، وكثيرا ما قرنت بالحج في مقام التعبد والذكر .. ومن ذلك حديث عائشة رضى الله عنها ، وفيه تقول للرسول صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله .. هل على النساء من جهاد .. ؟ قال : « نعم .. عليهن جهاد لا قتال فيه : الحج والعمرة » ، وبهذا الاسلوب نطق القرآن الكريم « واتموا الحج والعمرة لله .. » ويقولون حج فلان واعتمر ، ويقال الحجاج والعمار ، ..

وارجح الاراء انها سنة مؤكدة (كما يرى المالكية) ، وان من اتى بها مرة في العمر كله .. فقد اقام السنة .. وكلما تكرر فعلها .. تضاعف اجرها ، وان افضل اوقاتها ابان شهر رمضان .. وهذا

فيها فعلها وهي يوم عرفة ويوم النحر
 وايام التشريق الثلاثة، ومع هذا فلو اداها
 في هذه الايام الخمسة صح اداؤها ،
 ويبقى محرما بها فيها .. لان الكراهة
 ليست لذات العمرة فهي عبادة .. وانما
 لغيرها .. وهو تعظيم امر الحج وتخليص
 وقته له .. فيصح الشروع فيها مع
 الكراهة .. قال ابن عباس رضى الله
 عنهما « يوم عرفة ويوم النحر وثلاثة ايام
 التشريق .. اعتمر قبلها او بعدها ما
 شئت » .

والصحيح انها سنة مؤكدة لا فريضة (1)
 ... لان الفرض هو الحج وحده بقوله
 تعالى « ولله على الناس حج البيت من
 استطاع اليه سبيلا » فقد نزلت هذه الآية
 الكريمة في آخر السنة التاسعة بعد
 العاشر من ذى الحجة على ارجح الاقوال
 .. وبها فرض الحج .. اذ كان وقته
 الصحيح قد حل او انه ، ودخل مرحلة
 التوقيت الحقيقي .. وذلك ان الزمان
 بعد نزول هذه الآية الكريمة مباشرة، كان
 قد دار دورته ولف لفته بعد ان اخرجه
 عن سننه المنظم .. ما ادخله اهل
 الجاهلية من النسيء الذين كانوا يقدمون
 فيه بعض الشهور على بعض ويتلاعبون
 بمواقيتها .. حتى انتهى به المطاف في
 السنة العاشرة للهجرة الى وضعه
 الطبيعي كما خلقه الله تعالى يوم فطر
 السماوات والارض ، وبذلك استقر يوم
 عرفة في التاسع من ذى الحجة في السنة
 العاشرة ، وهذا هو السر في تأخير
 فريضة الحج الى تلك السنة الاخيرة من
 حياته صلى الله عليه وسلم .. اذ علم
 الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه

احيانا ان يترك الشيء لا رغبة عنه ..
 بل تلطفا بأمته لانه كان بالمؤمنين رحيمًا
 .. حتى لا تقع الامة في الحرج بمواظبتها
 على ذلك ، ونظير هذا قوله عليه الصلاة
 والسلام : (لولا ان اشق على امتي
 لامرتهم بالسواك عند كل صلاة) .

روى ابن عباس رضى الله عنهما عن
 الرسول صلى الله عليه وسلم « عمرة في
 رمضان تعدل حجة » وفي طريق لمسلم
 « .. تقضى حجة » او « حجة معي »
 وفي رواية لابي داود « تعدل حجة معي
 من غير شك » .

وكانت عمرات الرسول عليه الصلاة
 والسلام في فترات متباعدة .

الاولى : عمرة الحديبية في السنة
 السادسة من الهجرة ، وقد صده
 المشركون عنها عنادا وتعنتا .. وانتهى
 الامر الى صلح الحديبية الشهير .. ونحر
 الرسول الهدى ، وحلق هو واصحابه ،
 ورجع الى المدينة .

الثانية : عمرة القضاء .. وكانت في
 العام التالي ، لتكون قضاء عما فاتته في
 السنة السابقة ، وقد سماها بهذا الاسم
 جمهور الصحابة والسلف رضى الله عنهم .

الثالثة : عمرة الجعرانة حيث قسم
 غنائم حنين ، وذلك انه في عودته من تلك
 الفزوة سنة ثمان دخل مكة ليلا بهذه
 العمرة .. وخرج منها ليلا الى الجعرانة
 .. ومن ثمة خفيت على كثير من الناس .

الرابعة : عمرته التي قرن بها حجته
 الاخيرة في السنة العاشرة ، والتي
 سميت حجة الوداع وقد احرم بها في
 ذى القعدة ، وفعلها في ذى الحجة .

وليس لأدائها وقت محدد .. فجميع
 السنة وقت للاداء .. الليل والنهار في
 ذلك سواء .. ما عدا خمسة ايام يكره

(١) ويرى الشافعي واحمد انها فرض كالحج . بينما يرى ابو حنيفة انها واجبة وقد سار الكاتب في
 ذلك على رأى مالك (الوعى)

ان الزمان سيستدير كهيئته ، فتعود عشر ذى الحجة الى مقرها من العام ، ويشهد لذلك قوله عيه الصلاة والسلام في حجة الوداع : « ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والارض » ولذا لم يحج عليه الصلاة والسلام في السنة التاسعة . . وانما ارسل لامارة الحج ابا بكر رضى الله عنه .

واما قوله تعالى : « واتموا الحج والعمرة لله » فقد نزلت في السنة السادسة من الهجرة ، وهى لا تفيد الا وجوب الاتمام ، وذلك بعد الشروع فيهما . . وكل من شرع في عبادة ولو نفلا وجب عليه اتمامها . بقوله تعالى « ولا تبطلوا اعمالكم » واقترانها بالحج لا يفيد حتمية الوجوب ، فهو مثل قولنا « صم رمضان وستا من شوال » !!

وتتركز اعمال العمرة في الامور الآتية على الترتيب : الاحرام من الميقات ، والطواف سبع مرات ، ثم السعى بين الصفا والمروة سبعا كذلك ، واخيرا الحلق او التقصير الذى تنتهى به اعمال العمرة . والمرأة فى جميع ذلك كالرجل غير انها لا تكشف رأسها ، وتكشف عن وجهها ، ولا ترفع صوتها بالتلبية ولا ترمل فى الطواف ولا تهول بين الميلىن ولا تحلق رأسها ولكن تقصر . . ويرى ابو حنيفة رضى الله عنه ، ان كل من يمر بمواقيت الاحرام فى طريقه الى مكة لا يجوز له المرور الا محرما بحج او عمرة ، ووافقه فى ذلك مالك والشافعي فى القديم الا اذا تكرر مروره لقضاء مصالحه . . فلا يلزمه الاحرام فى كل مرة .

وبهذا صارت العمرة تعبيرا عمليا

عن تحية البيت الحرام ، اتخذ طابعا منظما لا ينبغى لغير الكعبة ولا يليق بمن يؤم الاراضى المقدسة ان يجهله او يتجاهله ، ولقد تشدد بعض الائمة فى المطالبة بالعمرة حتى جعلها الشافعي واحمد رضى الله عنهما فريضة كالحج ، وابو حنيفة رضى الله عنه قد رأى فيها عبادة فوق السنة ودون الفرض وسماها « واجبا » ، ومالك رضى الله عنه قال : انها سنة مؤكدة مستدلا بما روى ان اعرابيا قال يا رسول الله : العمرة واجبة مثل الحج ؟ قال « لا ، ولكن ان تعتمر خير لك » وروى عنه عليه الصلاة والسلام « الحج جهاد والعمرة تطوع » ويدل لذلك قراءة على وابن مسعود والشعبي « واتموا الحج والعمرة لله » برفع العمرة ونصب الحج كأنهم قصدوا بذلك اخراجها من حكم الحج وهو الوجوب .

وبعد :

فقد تبين مما تقدم :

ان العمرة سنة مؤكدة . وانه لا وقت لها . . ويكره ايقاعها فى خمسة ايام . يوم عرفة . ويوم النحر وثلاثة ايام التشريق .

وان الرسول اعتمر اربع مرات كلهن فى شهر ذى القعدة ، وان افضل اوقات ادائها هو شهر رمضان .

وان اعمالها : احرام ، وطواف ، وسعى بين الصفا والمروة ، وحلق ، وتقصير . وان من الواجب على كل من جاوز المواقيت الى مكة (الا اصحاب المصالح فيها) ان يحرم بحج او عمرة تعظيما للبيت ، ورب البيت « ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » .

خواتم

من هنا... وهناك

واجبنا نحوهم

في التاسع عشر من يناير الماضي يكون قد مضى على سيطرة الاستعمار على عدن والجنوب العربي نحو مائة وسبعة وعشرين عاما وهي مدة تساوي مدة الاستعمار في الجزائر .. ولقد تحررت الجزائر بحمد الله وبجهود ابنائها ومعاونة المسلمين والعرب لهم في كل مكان .. وبقيت عدن والجنوب للآن تعاني الآلام من السيطرة الاجنبية .

ونحن لا نذكر هذا الآن رسدا منا لتاريخ الاستعمار في بلادنا ، ولكننا نريد ان نقول ان البلاد الاسلامية التي نالت استقلالها ، وتمتعت بحريتها تقع على عاتقها مسؤولية كبرى نحو اخوان لهم لم ينالوا طعم الحرية بعد .. ويجاهدون الآن ، ويبدلون اموالهم ، ودماهم طمعا في تذوق هذه الحرية .. والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله ..

ومن هنا يتحمل كل مسلم على وجه الارض مسؤولية نصر اخوانه ، ومساعدتهم على التحرر ، ويتحمل المسلمون العرب النصيب الأوفى من هذه المسؤولية .. ولقد اعتبر الاسلام المسلمين جسدا واحدا ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر اذا اشتكى بعضه اشتكى كله .. واعتقد ان المسلمين الذين تمتعوا بحريتهم واستقلالهم لا يطيب لهم طعم هذه الحرية ، ولا يهنأ لهم بال بالاستقلال ، ولهم اخوان لا يزالون يئنون ، ويقاسون من وطأة الحكم الاجنبي . وكيف ينامون هانئين ، وأخوان لهم لا يغمض لهم جفن من الألم ، ويبستون ويصبحون وهم يقاسون الام الذل والاستعباد ، والتخلف الذي فرضه عليهم الحاكم الدخيل ؟!

ولست ادعو بهذا الى مساندة هؤلاء الاخوان في مطاردتهم لاعدائهم فقط ، وانما اريد كذلك ان افتح عيون وقلوب المسلمين الاحرار في كل مكان الى ان اخوانهم في هذه المنطقة ، لا يزالون يعيشون متخلفين في ميادين العلم ، والصحة ، ومرافق الحياة الأخرى .. وليس من الاسلام في شيء ان ننعيم باموالنا حتى البذخ والترف ، ونوفر لانفسنا مظاهر التقدم العلمي والصحي ، ولنا اخوان يحتاجون الى ما نبعثه في لهونا ومتعنا ، ليسدوا به ضرورة من ضروراتهم الملحة في نواحي التعليم والصحة وغيرها ..

وليس مما يشرف المسلم مهما يكن حظه وافرا من العلم ، والثقافة ، والصحة ، والتقدم الحضاري بصورة عامة ان يكون له اخوان متخلفون .. فان الجسم لا يحس طعم الصحة والراحة وعضو من اعضائه مريض . ومعاني اعرف ان الدول الاسلامية ، أو بعضها لها جهود مشكورة في هذه

الناحية - ومنها الكويت - فأني اطالب بالمزيد ، أو بتركيز العناية على هذا المجال
لا من الحكومات فحسب ، ولكن من اثرياء المسلمين كذلك . .

تحريف

جاء في الصفحة الاخيرة من مجلة هدى الاسلام التي تصدر في الاردن عدد رجب
١٣٨٥ هـ سؤال موجه الى مفتي المملكة يقول السائل فيه « انه قرأ في مجلة الوعي
الاسلامي » الكويتية العدد الرابع (ربيع الثاني ١٣٨٥ هـ) تحليلاً بأخذ فائدة من البنك
وقدرها ٢٪ على ان تستغل لصالح المسلمين » هكذا !!
وأحب ان أبادر اولاً فأقول للسائل ان الذي قرأه ليس فيه تحليل لأخذ الفائدة .
ولم يذكر فيه مطلقاً لا ٢٪ ولا اكثر ولا اقل ولا أدري من اين أتى السائل بها . .
والذي قرأه السائل هو رد لجنة الفتوى بالأزهر على سؤال وجهته « الوعي
الاسلامي » عما يفعله المسلم الذي اودع ماله في بنك اجنبي وترك فائدته فاستغلها
البنك في مشاريع تتنافى مع الاسلام ومصصلحة المسلمين . فهل للمسلم ان يأخذ الفائدة
ويستغلها لمصلحة المسلمين بدلا من تركها للأجانب يستغلونها ضد مصالح المسلمين . .
فكان رد لجنة الفتوى بالأزهر ان هذه الفائدة حرام . ولكن امام هذه الحالة يمكن المودع
ان يتسلم الفائدة من البنك ويصرفها في مصالح المسلمين عملاً بارتكاب اخف الضررين .
وهذا لا يقتضي اباحة التعامل الربوي بوجه ما .
وأرجو من السائل ان يكون دقيقاً في كلامه ونقله كما أرجو من فضيلة المفتي ان
يرجع الى ما جاء بالعدد الرابع من مجلتنا . - وقد ارسلناه لفضيلته - ويوافقنا برأيه
بعد الاطلاع عليه .

مع الأسف

تكرر في عيد الفطر - مع الاسف - ما حدث في بدء الصوم وما حدث في كل سنة
من بلبلة حول تحديد مواعدهما كأنه أصبح من لوازمهما هذه البلبلة وهذه المرارة التي
تملأ النفوس ، وتنطلق الألسنة تتحدث عنها مع فرحة العيد وبدء الصيام . . ولا
أعتقد ان هناك انساناً لم يتحدث عن هذا الموضوع مرة ، ومرتين وفي كل مجلس . وكان
أغرب ما نشر هو ما حدث في باكستان فبالرغم من ان بعض البلاد العربية كالكويت
والسعودية كان العيد فيهما يوم الجمعة ، وكان في البلاد العربية الأخرى كما أعلم يوم
السبت ، فان حكومة باكستان اعلنت ان العيد عندها هو يوم الاحد ، ومع ذلك
ثار بعض الناس هناك على ما اعلنته الحكومة ، يريدون ان يكملوا رمضان ثلاثين يوماً
بصيام يوم الاحد . . يعني انهم بدأوا الصوم هناك متأخرين عن أغلب البلاد العربية
بثلاثة أيام !!

وهذا شيء في منتهى الغرابة . الى هذا الحد يقع الاختلاف بين البلاد الاسلامية
في بدء عبادتها السنوية وتعيين يوم عيدها ؟ !!

أعود فأقول بلسان كل مسلم الى متى تستمر هذه الظاهرة ، وتكرر كل عام . .
ان المسؤولين في كل دولة مسلمة مدعوون من كل مسلم ان يضعوا حداً لهذه البلبلة . .
وفي امكان الجامعة العربية ان تتقدم بعمل مشكور في هذا الامر الهام . بعد ان يقدم
المجلس الاعلى للبحوث الاسلامية بالأزهر رأيه بناء على المذكرة المرفوعة من فضيلة
مفتي الجمهورية العربية المتحدة الى فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر في هذا
الموضوع . .

لعل وعسى ، حتى نستريح ، ولا نعود في العام القادم ، لنكرر مع الناس كافة نغمة
الاسى والأسف من هذا الاختلاف . . .

١ - تحديد الموقف

اننا حريصون على تبيان موقفنا ،
 في هذا العالم المزدهم بالأهواء والأفكار ،
 علما بأنه لا ينفعنا اليوم وكل يوم لا
 الانتهازيون ولا المنافقون : الذين اذا
 لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا
 الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن
 مستهزون ، وانما يعتز الاسلام
 بالمخلصين : الذين لا تززعهم الزوابع
 والأعاصير ، لذلك نبالغ في وضع النقاط
 على الحروف .. فالزرع لا يهتز على
 ساق الا بعد استئصال الاشواك، وتطهير
 التربة من السموم والديدان ، والبناء
 الشامخ الوطيد لا يتركز على بقايا
 العهد المباد . وانما يكون بالهدم ،
 والتشييد من جديد . كما هي سيرة
 الأنبياء والمفكرين ، وسنة الله التي لن
 تجد لها تبديلا ولا تحويلا .

للاستاذ
 حسن الشيرازي

فنحن على أي حال في معترك صارم ،
 فيجب أن نعاضد الداخلين ، ونطاردهم
 الدخلاء !! .

وهذا المقال يحتوى على موضوعين
 متباينين نسبيا ، ولكن تجمعهما فكرة
 واحدة هي : ان الاسلام دين يجب ألا
 يعتمد لا على الاستشراق ولا على
 العلم الحديث . لذلك أوردناهما
 كموضوع واحد .

علم الحديث والإشراق

على ضوء ذلك نرى ان الدين والعلم يعملان لسعادة الانسان .. فهما كمصراعي الباب .. لا يستغني البشر عنهما كما لا يستغني احدهما عن الآخر ، فلا خير في دين يمنع عن العلم .. كما لا خير في علم ليس معه دين !! .
غير ان الدين لما كان أدق وأثبت - حيث انه مأخوذ عن الله تعالى بمباشرة الوحي - كان على العلم ان يسير على ضوء الدين ، حتى لا يضر المجتمع عن قصد أو غير قصد ... اما اذا استقل العلم عن الدين ، فأخذ يكشف الموت والحياة ، ويخطيء ويصيب فليس على الدين أن يسايره ويقرر أخطائه ...

التطبيق خطأ

فاذن ليس من واجبنا تطبيق الاسلام على النظريات الحديثة ، بل ربما يضر الاسلام ذلك ، ويعرضه للتضعف والانهيار !! فانا لو اعترفنا بمبادئ الاسلام لأن العلم الحديث يقررها ، كان ذلك في الحقيقة تصديقا للاسلام ، تبعا للايمان بالعلم الحديث ، والعلم ليس مضمون البقاء ، لأنه يعتمد أكثر ما يعتمد على النظريات والتجربات ، وهي أبدا مضطربة المنقلب والمصير ، فالعلم اثبت بالامس ما خطأه اليوم ، وسينكر الغد أكثر ما قرره اليوم !! .

لقد أولع البعض بتطبيق الاسلام على العلم ، زاعمين انهم يؤدون بذلك أوسع رسالة انسانية ، ويوفرون للاسلام عوامل البقاء والخلود .. ! وهؤلاء في موقفهم هذا يشبهون أولئك الذين عاشوا في القرون الهجرية الأولى ، وكانوا يتكلفون تطبيق الاسلام على اكتشافات (بطليموس) ، وفلسفة (افلاطون) و (أرسطو) و (سقراط) .. !!

موقف الدين من العلم

كان هؤلاء يجهلون موقف الدين من العلم . ! ويحسبون ان الدين يجب ان يؤخذ من العلم .. ! ولا يعلمون انهما أمران متميزان - وفي نفس الوقت - متجاذبان متداعمان ، فالعلم يدعو للايمان والايمان يدعو للعلم .

وكلاهما يرمى لهدف واحد ، فالله تعالى لما اطلق الانسان في متاهات الحياة وملتويات الاجتماع ... جعل له رسولين في مسراه الطويل ! هما الرسول الظاهر (النبي) والرسول الباطن (العقل) .

فهمة الدين تنظيم الحياة بأقرب الطرق ، وأدق الأساليب ... ! ومسئولية العلم ان يوفر للانسان وسائل الراحة والهدوء والرفاه !! .

وهؤلاء يشبهون ذلك المريض ، الذي يصف له الطبيب دواء ، فعندما يسمع المريض باسم الدواء يرفضه ، ويحكم حكما بانا بخطأ الطبيب دون أن يعرف المرض او الدواء ، لمجرد ان الاسم بدا متنافرا مع ذوقه .

ومما يجدر بالذكر ان جماهير المسلمين اليوم لا يعرفون شيئا من مصادر التشريع الاسلامي ، دع عنك فلسفة التشريع الاسلامي ... ، وأريد ان اوقفك الآن على مثال نموذجي لما أقول .. فانت ايها القارئ العزيز ! راجع ثقافتك ومحفوظاتك هل تحفظ الف حديث من الاسلام . !! اكثر الظن ان الجواب ٩٨٪ يكون سلبيا وأظنك تصدقني فيما أقول ... !

واذا كان ٩٨٪ من خيار المسلمين الذين يقرأون مثل هذه المجلات لا يحفظون الف حديث من الاسلام .. فبالطبع ان ٩٩٪ لا يعرفون فلسفة الاحكام .

ومتي كان الأمر هكذا فهل من الجائز على المسلم . ان يرفض بعض احكام الاسلام لأنه لا يتفق مع ثقافته البدائية .. ؟ كلا .. ثم كلا ..

إيمان ناقص

ثم ان من يتوقف في ايمانه بالاسلام على موافقة العلم الحديث ، لن يكون مستسلما لله والرسول .. لأنه لا يعترف الا باحكام تتفق مع ثقافته المحدودة ، واكثر الناس لا يستطيعون الاحاطة بفلسفة الاحكام .. وانما يرضخون لما عرفوا حكمته ، ويرفضون ما لم يفهموا منه شيئا .. فيكونون أشبه باليهود الذين تهكم القرآن بهم صارخا في وجوههم (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) .

فلهم الخزي في الحياة الدنيا ، لأنهم لا ينخرطون في سلك واحد ، وانما يأترون بهواجسهم النائية ، فيكونون عقدة في الصف ، ومبعثا للتفرقة والانشقاق ، ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب ، لأنهم لم يؤمنوا بدين ، وانما آمنوا بآرائهم الخاصة .

ولقد جاء (دارون) يهز العالم بفلسفته .. فلما عرضت مزاعمه على مختبر الحياة ، وتناولتها افكار المدققين ، انقشعت عن أوهام وأخطاء .. وانني أؤكد - على ثقة ودراية ان اكثر النظريات الحديثة التي لا تعتمد على الحس ، سوف تتبخر - بعد سنوات - ضبابا هائما ، يتضاءل امام اشعة العلم ، التي تحملها الينا نوافذ الغد .

فلو آمننا بالاسلام لشهادة النظريات الحديثة فحسب ، لكان مخاطرة بالاسلام كله .. لأن هذه الأفكار أو أكثرها ، ستنهار على عتبة المستقبل ، ويتبعها الاسلام على هذا الحساب .

قصور العلم الحديث

ولو ان العلم الحديث وحده كان مستقل بتنظيم الحياة تنظيما شاملا دقيقا ، لما بعث الله رسولا ...

واذا كان العقل والعلم يستغنيان عن الرسل ، لكافحا المآسي والويلات المتفشية اليوم في كل قطر من العالم . ، فلا بد لنا من الاعتراف باننا في حاجة ماسة الى اتباع تعاليم الرسول عليه الصلاة والسلام ، وان لم نعقل فلسفتها . ، لأنه لا ينطق الا عن الله الذي احاط بكل شيء علما ، وأن نرضخ له بالطاعة المستمرة ، كما نخضع للطبيب وكما يسمع الجندي الأمين لقادته .. - على أقل تقدير - ...

غير أن هناك قوما يرفضون بعض شرائع الاسلام ، بمجرد ما يسمعون بها ، ودون أن يراجعوا مصادرها ويطلعوا على فلسفتها ، وكان هؤلاء يتصورون ان ثقافتهم المحدودة مقياس الخطأ والصواب في كل شيء ... حتى اذا لم يلتئم شيء مع ذوقهم الفني المحيط حكموا بسخافته

نؤمن بالحقائق

الا ترفا عقليا ، وطقوسا خاوية ، وتقاليد
مموهة ..

مع العلم بأننا لا نرفض البراهين
العلمية الواقعية المقتبسة من الحقائق
على ضوء العقل ، والفطرة الثاقبة ، لا
الآراء التي تنبثق من الافكار الضيقة ،
والعقول الصلابة التي طغت عليها العواطف
والاسماء ، والبيئات ، والضمائر التي
ماتت في معترك الصراع بين المادة والتيارات
الجانبية المتخثرة ، والأدمغة النفعية
الموتورة والمأجورة .

موقف الاستشراق

كبعض المستشرقين الذين يحاولون
الوقية في الاسلام . ولا أنكر ان
فيهم من يشعر بوخز الضمير ، وطهارة
الإيمان ، ولكنهم على أى حال ،
ينتمون الى زمرة تحمل مسؤولية
التجسس والاغتيال ، لأنهم بحكم وظيفتهم
يترصدون للاسلام ، ويكشفون عورات
المسلمين ، والمستشرقون - جميعا -
من ذبول الحروب الصليبية ، التي لا
تزال خيوطها ممتدة في بلاد المسلمين !!

حروب باردة

ولقد زحف الغرب المسيحي - اكثر
من مرة - على بلاد المسلمين ، فباء بالفشل
الذريع ، عند ذلك علم ان القوة لن تنال
من المسلمين ما داموا مسلمين ، فاستخدم
بعد الحروب الصليبية هذه الطريقة وهي
العمل على التفرقة بين الاسلام والمسلمين
... حتى لا يبقى مجتمع اسلامي في
بلاد المسلمين ، وذلك انما يكون عن
طريق نشر المستشرقين ، لأنهم يؤدون
واجب التجسس والاستهتار بالاسلام
في وقت واحد ، فمهمة الاستشراق :
ان تضعف ثقة المسلمين بالاسلام ليفارقوه
قليلا .. قليلا .. ثم يعتنقوا مبدأ أى
مبدأ ؟ وعند ذلك يسهل للاستعمار
السيطرة عليهم متى شاء ، لأن الاسلام

ولكننا نؤمن بالاسلام ، وقد كنا
وسنبقى ، ولا نزال مؤمنين به ، لاننا
نملك ملايين الأدلة الحسية والفطرية
الصادقة على صحة مبادئ الاسلام
كلها ، وبين يدينا البراهين التي استدل
بها النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء
لاقرار حقائق الاسلام . ولا يعوزنا دليل
حتى نطلبه في العلم الحديث ، وان كان
يتفق مع أصول الدين وفروعه ، بيد اننا
لا نفرح بموافقته ، ولا نستاء لمخالفته .

لذلك سواء علينا . أشرق الصباح
عن غياهب المستقبل الغامض ، أو
انتشرت سدف الظلام .. وسواء لدينا
أضمر الغد فشل العلم الحديث ، أو
نجاحه ..

فلسنا نهاب فشل العلم الحديث ،
لأننا لم نبين ديننا عليه !! ولا نخشى
اتساعه ، لأنه معنا على أى حال !! . وان
كنا نحب العلم اكثر من كل احد ، حيث
اننا نعرف قيمته الذاتية والاجتماعية
اضافة على ان ديننا يحفز على انتشاره
وتوسعه .. وقد كنا آباء العلم الحديث
وسنعود ..

لا نرفض الحق !

كل ذلك ! ونحن نعتز بحقائق العلم
الحديث! ونعرفها احدى بينات الاسلام .
وان كنا لا نعول عليها وحدها !! فلسنا
من المتطرفين الذين يدوسون تراثهم
الفكري العتيق بما يلقي اليهم من طارف
جديد ، وكثيرا ما نستدل للاسلام بالعلم
الحديث ، ونضيفه على تلك الحجج
الواضحة ، لأولئك المسلمين الذين طال
عهدهم بالاسلام الموروث ، على حين
ابتعادهم عن الاسلام الفكري الاصيل
العميق .. تبعا لافتتانهم بالغرب ، وكل
ما يأتي من الغرب من غث وسمين ،
حتى أصبحوا وهم لا يعرفون الاسلام

ولا يستطيع احد منا مناقشته ، ولا الرد عليه ، فهو لا يتكلم الا عن خبرة واطلاع (٢) .

وهكذا يكتبون في الاسلام الكتب ، والمقالات الطوال ، ليدسوا السم في العسل ويثبتوا معاولهم على كيان الاسلام من حيث نحسن الظن بها ، ونأمل كل الخير منها ...

وهؤلاء ان اختلفت اساليبهم ومخططاتهم لكنهم لا يتفرقون في شيء الا ليتحدوا في نقطة واحدة هي تشويه معالم الاسلام في الصميم ، لانهم لا يهدفون الا المراكز الرئيسية ، والنقاط الحساسة . . واليك بعض منهم .

١ - بلييف .

المستشرق الكبير ، يقول عن الاسلام :
(الاسلام ليس سوى صورة من صور الحنفية) . ويضيف قائلا (ان ابلغ مثال كامل غير متذبذب للحنفية يوجد في تعاليم (مسيلمة) . . ثم يستطرد قائلا :
(ان مسيلمة كان معاصرا اسبق ، ومعلما ثم حليفا فيما بعد لصاحب الشريعة الاسلامية . .) وقال (ان المؤرخين العرب احتفظوا بمقتطفات من المواعظ التي ادلى بها مسيلمة ، فاذا بها في محتوياتها ونصوصها تكاد تسابق السور المكية . .) .

ويزعم هذا المستشرق (. . ان القرآن اشترك في وضعه اناس من جزيرة العرب وخارجها ، وليس من تأليف شخص فرد (يعني النبي !) اذ انه يجد مادته شديدة

هو الدين الوحيد الذي يتمكن من مقاومة المبادئ الهدامة والمستعمرين ، والتغلب عليهم في كل مجال . فالاستشراق اذن رائد الحملات النكراء ضد الاسلام ، والمستشرقون دهاة متلصصون جندهم الاستعمار ليحاربوا الاسلام بهذا الاسلوب (١)

أحسنوا الظن

غير ان المسلمين يحسنون الظن بالمستشرقين ، ويحسبونهم اناسا طبيين محايدين يرحلون الى الشرق الاسلامي ليعرفوا الحقائق ، ويختاروا الدين الصحيح . . . ولذلك عندما يزور بلادنا مستشرق من أى مكان نحتمى به ونضع بين يديه اسرارنا وأوضاعنا ، ونحدثه عن كل ما يريد برحابة صدر ، وتدقق ايمان . ، ثم نصفي اليه طويلا ، ونلتقط كلماته بكل دقة واكبار ، فاذا كان في اقواله كلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، او الاسلام ، او القرآن ، تهلت أسارير وجوهنا فرحا واستبشارا بهذا الفوز والنجاح ، حيث نظن ان احتفاءنا به وتحدثنا اليه جعله مسلما اصيلا سوف يرجع الى بلاده وينشر الاسلام في اقطارها ، فيكون ثواب ذلك عائدا الينا - والحمد لله - .

أما لو كتب في الاسلام كتابا ، فكانه الوحي المقدس - ما في ذلك من شك !

(١) هذا الاسلوب هو دراسة تراث الشرق والكشف عن ذخائره . وقد انتجوا فعلا في هذه الناحية ما لا يمكن انكاره ولكنهم عن هذا الطريق ينفثون ما يريدون من زعزعة لعقيدة المسلمين (الوحي) .
(٢) ربما كان في هذا الحكم شيء من المبالغة ولكنه رأى الكاتب (الوحي) .

التنوع والاختلاف ، وكذلك
ديباخته .. (١)

الطفولة ، وبحديث اهل الكهف السبعة
وحديث الاسكندر وغيرها .. (٢)

ارأيت هذا المستشرق كيف ينادي
بوقاحته المطبوعة ان مسيلمة كان معلما
للنبي ونصوص قرآنه تكاد تسابق نصوص
القرآن ؟؟

وحيثما يبحث عن موقف النبي صلى
الله عليه وسلم من اليهود ، ويقرر ان
النبي صلى الله عليه وسلم تأثر في
اتجاهاته الدينية باليهود ، وانه وضع
الصلوات الخمس ، وصلاة الليل ، وصلاة
الجمعة ، والاذان والوضوء .. ليكسب
اليهود .. بعد ذلك يقول (.. ولم يطل
العهد بمحمد حتى شجر النزاع بينه ،
وبين احبار اليهود ، والواقع انهم على
الرغم مما تم لهم من علم هزيل في تلك
البقعة النائية كانوا يفوقون النبي
الامي في المعلومات الوضعية وفي حدة
الادراك ..) (٤)

ارأيت شخصية المستشرقين الذين
يكتبون عن الاسلام ؟ انهم جميعا من هذا
النوع ، وان اختلفت مناهجهم
وأساليبهم ... !!

٢ - كارل بروكلمان .

يقول - في تاريخ النبي صلى الله
عليه وسلم (.. ولكنه على ما يظهر
اعترف في السنوات الاولى بألهة الكعبة
الثلاث اللواتي كان مواطنوه يعتبرونها
بنات الله . وقد اشار اليهن في احدي
الآيات الموحاة اليه تلك القرانتيق العلى
وان شفاعتهم لترتجى ..) (٢)

ولما يكتب عن الجانب اللاهوتي من
تعاليم محمد يستطرد الى حيث يقول
(.. ولكن القسم الاعظم من الحديث
المتصل بسنة الرسول لم ينشأ الا بعد
قرنين من ظهور الاسلام ..) (٥)

وعندما يتكلم عن ثقافة النبي صلى
الله عليه وسلم يأتي بهذه الكلمات (..
وليس من شك في ان معرفته بمادة
الكتاب المقدس كانت سطحية الى ابعد
الحدود ، وحافلة بالأخطاء ، وقد يكون
مدينا ببعض هذه الأخطاء للاساطير
اليهودية ، التي يحفل بها القصص
التلمودي . ولكنه مدين بذلك دينا اكبر
للمعلمين المسيحيين الذين عرفوه بانجيل

وحيث يقلب صفحة يزيد بن معاوية ،
ويعد الناقلين عليه يقول (.. وكان
زعماء الارستوقراطية الاسلامية الحسين
ثاني ابناء على (٦) . ورجلين آخرين
لم يتحدا مع الحسين في فكره ، ثم
يسترسل الى حيث يقول (.. والحق
ان ميتة الشهداء التي ماتها الحسين ،
والتي لم يكن لها أى اثر سياسي ..) (٧)

البقية على ص ٧١

- (١) انظر ثورة الاسلام ص ١٣ - ١٤ احمد زكي ابو شادي
- (٢) اقرأ كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ج ١ ص ٣٧
- (٣) نفس المصدر ج ٢ ص ٤٣ .
- (٤) نفس المصدر ج ١ ص ٥٢ - ٥٤
- (٥) نفس المصدر ج ١ ص ٨٤ .
- (٦) تاريخ الشعوب الاسلامية ج ١ ص ١٥٣
- (٧) نفس المصدر ج ١ ص ١٥٤

المحافظة على اموال الشعب

جاء عتبة بن سعيد الى امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وكان صديقا له فقال : ان سليمان ابن عبد الملك كان قد أمر لي بعشرين الف دينار ، حتى انتهت الى ديوان الختم ، ولم يبق الا قبضها ، فتوفى على ذلك وانت يا امير المؤمنين أولى باتمام الصنيع ، فقال عمر : عشرون الف دينار تفضى أربعة آلاف بيت من المسلمين ، وأدفعها الى رجل واحد ؟ والله ما لي الى ذلك سبيل .

اتخذ خاتما من حديد

بلغ عمر بن عبد العزيز ان احد اولاده اتخذ خاتما واشترى له فصا بألف درهم ، فكتب اليه : أما بعد . فقد بلغني أنك اشتريت فصا بألف درهم ، فبعه ، وأشبع به الف جائع ، واتخذ خاتما من حديد ، واكتب عليه « رحم الله امرأ عرف قدر نفسه » .

ما يحمد في القاضي وما يكره

ثلاث اذا كن في القاضي فليس بكامل اذا كره اللوائم ، وأحب المحامد وكره العزل .
وثلاث اذا لم تكن فيه فليس بكامل : يشاور وان كان عالما ، ولا يسمع شكية من احد حتى يكون معه خصمه ، ويقضى اذا علم .

طول العمر

قال الاصمعي لاعرابي جاوز المائة : ما أطول عمرك يا أعرابي !!
فرد عليه : تركت الحسد فعمرت !

ثلاث من كن فيه كن عليه

البغي قال تعالى : يا أيها الناس انما بغيكم على انفسكم .
والمر قال سبحانه : ولا يحق المكر السوء الا بأهله .
والنكث قال عز من قائل : فمن نكث فانما ينكث على نفسه .

افضل الطعام

قيل لبعض الحكماء اي وقت الطعام فيه اطيب وافضل ؟ قال اما لمن قدر فاذا جاع ، واما لمن لم يقدر فاذا وجد .

حلم

تحدى اعرابي صديقا له ، فلم يلتفت اليه ، فقال له : يا هذا اياك أعنى فأجابه :
وعنك أعرض !

النمام مخذول

جاء رجل الى الخليفة العادل عمر
ابن عبد العزيز فذكر عنده وشاية في رجل
فقال ان شئت حققنا هذا الامر الذي
تقول فيه ، ونظرنا فيما نسبته اليه
فان كنت كاذبا فانت من اهل هذه الآية
« ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » وان
كنت صادقا فانت من اهل هذه الآية
« هماز مشاء بنميم » وان شئت عفونا
عنك .

فقال الرجل النمام : العفو يا أمير
المؤمنين ، لا أعود اليه أبدا .

دعاء

اللهم اني استغفرك من كل ذنب
قوى عليه بدني بعافيتك ، ونالته يدي
بفضل نعمتك ، وانسبت اليه بسعة
رزقك ، واحتجبت فيه عن الناس
بسترك ، واتكلت فيه على اناتك
وحلمك ، وعولت فيه على كريم عفوك .

يطعمه ثم يقيده

سمع ابو الاسود رجلا يقول : من
يعشى الجائع ؟ فقال : علي به . فعشاه
ثم اراد السائل الانصراف ، فقال له ،
أين تريد ؟ قال أريد أهلي . قال
هيهات علي الا تؤذى المسلمين الليلة ،
ووضع في رجله القيد حتى أصبح .

الكبر والمشيب

قيل لشيخ : ما بقي منك ؟ قال
يسبقني من بين يدي ، ويدركني
من خلفي ، وأنسى الحديث ، وأذكر
القديم ، وأنسى في الملا ، وأسهر في
الخلا، وان قمت قربت الأرض مني، واذا
قعدت تباعدت عني .

أسرع من الضوء

قيل لعلي كرم الله وجهه : كم
بين السماء والأرض ؟ قال : دعوة
مستجابة . قيل : فكم بين المشرق
والغرب ؟ قال : مسيرة يوم (يعني
للشمس) .

نصيحة

شهد الحسن البصرى جنازة فقال
لصاحبه :
أترى لو رجع الى الدنيا لعمل صالحا ؟
فقال صاحبه نعم .
فقال الحسن : فان لم يكن هو فكن
انت !!

رد حكيم

قيل لحكيم : كيف حال أخيك ؟ فقال : ان أخي قد مات . فقيل له : وما سبب

مات ؟ فأجاب : حياته !!

تطور

عند العرب

التي يتمتع بها حكم القاضي ، اذ ينفذ بالاكراه عند التمتع ..

ولمعرفة ميزات كل من القضاء والتحكيم على وجه دقيق نذكر الفوارق التالية :-

أولاً :- القضاء منصب رسمي ، ومظهر من مظاهر الدولة وتنظيماتها ، اما نظام التحكيم فعماده افراد مختارون من قبل الناس لفض النزاعات التي يعرضها ذوو العلاقة ، بمعنى ان القاضي يضع يديه على الخلاف تلقائياً وباسم الدولة ، بينما يظل المحكم بعيداً عن المشكلة حتى تعرض عليه .

ثانياً :- لا أثر للالزام في التحكيم اذ باستطاعة احد الطرفين ان لا يحضر مجلس الحكم ، اما في القضاء فان للقاضي

للاستاذ محمد شمس الدين
مستشار محكمة الاستئناف بطرابلس - لبنان

عرف العرب القضاء - احد مقومات دولتهم الكبيرة - مؤسسة تطورت وازدهرت ، ولم تلبث بعامل التفاعل الحضاري والنمو الذاتي ان اصبحت في اواسط العصر العباسي علي شأن عظيم من الرقي تنظيمياً وشمولاً ..

ولا بد للباحث في تاريخ القضاء عند العرب من ان يرجع قليلاً الى ما قبل الاسلام حيث لم يكن للقضاء شخصية مميزة ، وحيث كان نظام التحكيم السائد آنذاك ، هو كل شيء ..

والواقع ان التحكيم على ما عرفته الجاهلية لا يعد قضاء بالمعنى الموضوعي والاصطلاحي ، وانما يصح اعتباره مخرجاً يلجأ اليه المتخاصمون لحل قضاياهم ، يرتكز عنصر « الالزام » فيه على رضى الطرفين ، وليس على القوة

القضاء

والدولة الإسلامية

والتجرد والنزاهة ، عرف منهم بنو سهم في مكة ، والاقرع بن حابس ، واكثم ابن صيفي ، وعبد المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهند الايادية ، وحذام بنت الريان التي قيل فيها : -

اذا قالت حذام فصدقوها

فان القول ما قالت حذام

على انه في سياق الكلام على التحكيم والمحكمين في العصر الجاهلي لا محيد عن ذكر رئيس العشيرة الذي كان يفصل بحكم منصبه بين الافراد التابعين له خشية اضطراب جبل الأمن داخل العشيرة ، وكذلك فان الكهان والعرافين كانوا مفزع كثير من المتخاصمين .

كل هذا اذا لم يتعد الخلاف افراد القبيلة او العشيرة الواحدة ، اما اذا كان مدار الخلاف افرادا من عدة قبائل فالحكم هو السيف وما يستتبعه من حرب وافناء ودمار ، وليست عادة الثأر والتربص للقاتل ، او لاحد افراد عشيرته بغية اراقة دمه الا شاهدا على صورة قائمة من صور الحياة الاجتماعية في عصر الجاهلية ..

سلطان السير في المحاكمة بغياب المدعى عليه .

ثالثا : - في حال صدور قرار من قبل المحكم ، يبقى الخيار للطرفين المتخاصمين في تنفيذ القرار او اهماله ، او الانتقال الى محكم ثان فثالث ، فالولاية هنا مرهونة برضى المتخاصمين ، أما قرار القاضي فله حرمة وقوته الملزمة المؤيدة بسلطة الدولة ..

يتبين مما تقدم ، ان التحكيم يستمد قوته من تراضي المتخاصمين ، بينما يركز القضاء على عنصر الالتزام في المحاكمة والتنفيذ كما أسلفنا ..

ولا نكران في أنه كانت عند العرب طائفة من المحكمين ، اشتهرت بسعة الاطلاع ، ونفوذ الفكر ، وقوة الاستنتاج ،

سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون (١)
وهذه هي الخطوة الثانية نحو القضاء -
- الأولى هي ان حكم الرسول اصبح
ملزماً .

النبي والقضاء

في مطلع العهد الاسلامي كانت لا تزال تهيم على الناس عادات الجاهلية ، فهناك التحكيم ، وهناك الاقتصاص بالذات ، وهناك اللجوء الى الكهان، وكانوا يحتكمون الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، دون أن يكونوا ملزمين بما حكم به ، واستمرت الحال على هذا المنوال ، حتى نزلت الآية الكريمة « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » وقيل ان سبب نزول هذه الآية الحادثة التالية : -

اختصم رجلان الى رسول الله ف قضى بينهما ، فقال الذي قضى عليه :

ردنا الى عمر بن الخطاب . فقال عمر : اكداك ؟ ! قال نعم . قال عمر : مكانكما حتى اخرج اليكما فأ قضى بينكما . فخرج اليهما مشتملاً على سيفه ، ف ضرب الذي قال ردنا الى عمر فقتله ! وقد أصبح لحكم الرسول قوة ملزمة ، بمقتضى الآية المشار اليها « ويسلموا تسليماً » وبذلك تكون صفة جوهرية من صفات القضاء ، قد تحققت ...

وإذا كان المحكم من قبل غير قادر على اجبار اى من الطرفين بالحضور لديه الا اذا رضي الطرف الآخر ، فقد أصبح الرسول يجبر محكميه ، على ان يحضروا بعد نزول الآية

« وإذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون . وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين . أفى قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون .

انما كان قول المؤمنين إذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا

- الثانية ان واحداً من الخصمين اذا دعي الى الرسول وجب ان يلبي الدعوة ، ولا ضرورة الى وقوع التراضي بينهما على ذلك من قبل .

« خطوتان لم يكن الناس في زمن النبي يحتاجون الى اكثر منهما ، وبهما تمت صفتا القضاء الجوهريتان ، فالخصم يلزمه خصمه بالمسير الى النبي ، والنبي يلزم الخصمين معاً بحكمه » وبذلك تسقط حجة الذين زعموا أن العرب لم يعرفوا القضاء ، بل انهم اقتبسوه عن الأمم التي تغلبوا عليها كالفرس والرومان .

التنظيم القضائي . . (أول من تولى

منصب القضاء)

ليس في المصادر اية اشارة جازمة الى أول من تولى منصب القضاء ، اذ ان النبي حين كان يقضي بين الناس ، انما كان يعمد الى ذلك بحكم ما تنطوى عليه شخصيته ، من سلطة زمنية وروحية ، واذا كان بعض المؤرخين قد ذهبوا الى القول بأن علي بن أبي طالب ، ومعاذ بن جبل اللذين ولاهما الرسول على اليمن هما أول قاضيين في الاسلام فلأنهم كانوا يرون ان القضاء بين الناس هو من اكبر مهمات الوالي في الولاية التي يدير شؤونها .

على ان الأمر يختلف في عهد الخلفاء الراشدين ، حيث يجمع المؤلفون ، على ان عمر بن الخطاب هو أول من عين قاضياً ، ومن هذا القبيل نقرأ في مؤلف الكتاني « ما اتخذ رسول الله قاضياً ولا ابو بكر ولا عمر ، حتى كان في وسط خلافة عمر اذ قال لعلي اكفني بعض الأمور ، لأن علياً كان أفضى الصحابة

وأعلمهم ، ودفع اليه امر القضاء في بعض الأمور » .
وقد سار معاوية على هذا النهج ، فتخلى عن القضاء وترك أمره الي بعض الرجال الذين كانوا على مقدرة في الفقه وأمور الدين ، وتمشى سائر الخلفاء الامويين على هذا النمط ، فولوا القضاة على الأمصار .

وكان اسلوب « القاضي الفرد » هو المعول عليه ولم تشر امهات الكتب الى نظام محاكم الجماعة ، الا ان بعض المؤرخين، يذكرون انه اذا اشكل امر هام، فان عددا من كبار القضاة كان يجتمع لدرسه ، واعطائه الحل الملائم ، على غرار ما نعرفه في عصرنا الحاضر ، حين تجتمع غرف محكمة التمييز « النقض والابرار » بكاملها للنظر في توحيد الرأي ...

مظاهر القضاء

كان القاضي يجلس للفصل بين الناس ، اما في المسجد ، او في منزله ، او في مكان يعرف بدار القضاء . وكان القضاة يعنون بمظهرهم ، ويديرون مجلس الحكم بوقار وهيبة ، ويتخذون كتابا لتسجيل الوقائع ، وضبط الافادات ، وحجابا لتبليغ اصحاب الدعاوى ، كما كانوا يساؤون في مجلسهم بين المتخاصمين ، وينظرون في الخصومات بترتيب ودون محاباة ... وكانوا يتمتعون بحصانة ضد النقل والعزل الا في الحالات النادرة ، ويروى في هذا الصدد ان الخليفة اذا ولى وزيرا وقاضيا ثم مات ينزل الوزير بموته ، ولا ينزل القاضي باعتبار ان الوزير مرتبط بالخليفة فيذهب بذهابه ، اما القاضي فمرتبط بالامة فلذا يستمر في منصبه ...

طلب القضاء

طالب الولاية لا يولي ، تلك هي القاعدة التي كانت متبعة في تعيين القضاة ، ولذا كان على الخليفة او وكيله او قاضي القضاة ان يولى الكفاء الصالح ، وكان

واختلف الامر في العصر العباسي ، حيث استحدث الخلفاء منصب « قاضي القضاة » الذي تولاه « أبو يوسف » ووكلوا اليه امر انتقاء القضاة وتعيينهم ، وبذلك اصبح للقضاء استقلاله ، ومؤسسته الخاصة به .

واختلف الامر في العصر العباسي ، حيث استحدث الخلفاء منصب « قاضي القضاة » الذي تولاه « أبو يوسف » ووكلوا اليه امر انتقاء القضاة وتعيينهم ، وبذلك اصبح للقضاء استقلاله ، ومؤسسته الخاصة به .

واختلف الامر في العصر العباسي ، حيث استحدث الخلفاء منصب « قاضي القضاة » الذي تولاه « أبو يوسف » ووكلوا اليه امر انتقاء القضاة وتعيينهم ، وبذلك اصبح للقضاء استقلاله ، ومؤسسته الخاصة به .

صلاحية القضاة

كانت صلاحية القاضي باديء الامر مقتصرة على القضايا المدنية والشرعية ، ثم اخذت تزداد سعة وشمولا حتى اصبحت تتناول كافة الأمور المعروفة في عصرنا ، وحصرها بعضهم في المسائل التالية .

١ - النظر في الخلافات الحقوقية بين المتخاصمين .

٢ - النظر في الدعاوى الجزائية ، وهي التي يرفعها المتضررون، او المتعلقة بالحق العام .

٣ - النظر في تنفيذ الاحكام المقضي بها .

٤ - النظر في الحجر على السفهاء والمبذرين والولاية على القاصرين .

٥ - النظر في تزويج الايامى ، اذا امسك اولياؤهن عن تزويجهن .

٦ - تصفح احوال الشهود وتركيتهم .

٧ - النظر في امور الاوقاف ، ، وتولية المتولين عليها .

وفيما يتصل بالصلاحية المكانية ، فقد كان القاضي يولي على مدينة بكاملها ،

البقية على ص ٦١

السؤال العظيم

محمّد بن مؤمن

بها عن زمان قديم مضى
تنام وتصحو بأم القرى
يباع ببخس كما يشترى
عن الغى أو كاشف للعمى
ويسرح في اللهو أهل النهى
بسوق عكاظ وما قد حوى
وعشاقها في ليالى الهوى
بليل الندامى ورشف اللمى
وأوراق فجر عظيم البها
وفي الفكر سهيل ما يعتصى
ويفهم ما في السما من سها
عليه الوجود وما قد حوى
ليأوى إليها التقى والهوى
ويقظتها من هزيع الكرى
ليهدم قصرا لمن قد طغى

سأحكى لكم قصة يقتدى
زمان به الناس مثل السوام
الههم حجر بالمرزاد
وليس بمكة من يرعى
تشد العقول بأوتادها
وتشقق قافية من هوان
وعود حزين إلى قينة
تغنى لمجد ملوك القيان
وفي الغار قد وكنت نجمة
به يبدأ الدهر من أول . . .
به تفهم الأرض حكم السما
هو العقل أعظم ما ينطوى
وفي الغار زيتونة عرشت
وفي الغار تسيحة الكائنات
بنى العنكبوت به عشه

خفايا الحياة وسر البقا
حوت الف سر بعيد المدى
لا قمارها عنكب قد قعى
ظلام السنين لأهل الهوى
عليها أبو لهب في منى
ليسرى عليها لصوص الدجى
كأن الفناء وريث البقا
تراه وتزعم أن لا نرى
وملء المكان وملء السرى
ويسرى بعرقى مسرى الدما
وأحلام معتزل ما ارعوى
ويا ليتكم تسمعون الهدى
تخبط في ليلها وانزوى
خيالك هذا البعيد المدى
ولكننى ملهم قد سما

هناك تجلت إلى العالمين
وربة عوسجة في الفلا
تجل السماء بأن يرتقى
وان تخضع الأرض مهما يطل
فلم تشرق الشمس كى يستضىء
ولم ترتفع نجمة في السما
فكل له دورة في الوجود
وقالوا له: أين مأوى الذى
فقال لهم: ملء هذا الزمان
أراه . ولكننى لا أراه
وقالوا له: خل عنك الخيال
فقال لهم: ليتكم تفهمون
وقالوا له: أنت ذو جنّة
فكيف نصدق ما يدعى
فقال لهم: لست ذا جنّة

الرسول العظيم

ولا أكذبكم أنــــه
وكانت رسالته كالضياء
وكانت رسالته كالحياة
ففيها الرغيف إلى الجائعين
وفيها الطريق إلى التأهين
وما هي إلا مرور الغمام
وتهويمه الفجر في خاطر
أثام مشعا كدفق السننا
وأوقد في ليلهم نجمة
وفي الأرض روح الاله العظيم
تتابع موكب هذا الزمان
وليس العظيم الذي من يقم
ولكنه من يهز الحياة
ويهوى بمعوله هادما

رأى من تعسفهم ما رأى
بتلك الزوايا وتلك الهوى
ومثل الدواء ومثل الغذا
وفيها الملاذ وفيها الذرى
بصحراء مكة حيث العرا
وغمضة جفن وطيف سرى
تخامره خطوات الكرى
فتى يعربنى سريع الخطى
إلى الآن في هديها يهتدى
وروح الحياة وكل القوى
وتدرى بأى الشواطى رسا
كيانا ويترك كهفا سجا
بأعظم ما في القوى من قوى
ويبنى جديدا إذا ما انتهى

بقية تطور القضاء

يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك، البينة على المدعي واليمين على من انكر. والصلح جائز بين المسلمين، الا صلحا احل حراما، او حرم حلالا. ولا يمنعك قضاء قضيته بالامس، ثم راجعت فيه نفسك، وهديت فيه لرشدك، ان ترجع الى الحق، فان الحق قديم، والرجوع الى الحق خير من التماذي في الباطل. الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة، ثم اعرف الامثال والاشباه وقس الامور بنظائرها، واعمد الى احب الامور الى الله تعالى، واشبهها بالحق فيما ترى.»

واجعل لمن يدعي حقا غائبا، او بينة اجلا ينتهي اليه، فان احضر بينة اخذ بحقه، والا وجهت عليه القضاء فان ذلك اجلى للعمى وأبلغ للعذر. والمسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا في حد، او مجريا عليه شهادة زور، او ظنينا في ولاء، او نسب، فان الله تعالى تولى منكم السرائر، ودرأ عنكم بالبينات والايمان. واياك والقلق والضجر والنأذى بالناس، والتنكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الاجر ويحسن الذخر، فانه من يصلح بينه وبين الله - ولو على نفسه، يكفه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين للناس بغير ما يعلم الله منه شانته الله، فما ظنك بثواب الله تعالى في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام.

تصويب

وقع خطأ مطبعي في آيتين كريمتين في مقال «أسعاد الفرد والجماعة» في العدد العاشر من المجلة، وتصويبه «فدمرناها» و«اخوان الشياطين».

العلماء يتورعون عن طلب القضاء نظرا، لخطورة المنصب، وعظيم المسؤولية. ومن القصص الرائعة في هذا المجال ما حدث للامام الاعظم ابي حنيفة، حين طلب اليه ان يقبل منصب قاض فرفض قائلا للخليفة المنصور «اتق الله ولا ترع في امانتك الا من يخاف الله، والله ما أنا بمأمون الرضى فكيف اكون مأمون الغضب، ولو اتجه الحكم عليك، ثم تهددتني ان تفرقني في الفرات، او تلي الحكم لاخترت ان اغرق، ولك حاشية يحتاجون الى من يكرمهم لك، ولا أصلح لذلك»..

فقال المنصور: كذبت، أنت تصلح!..

فقال قد حكمت لي على نفسك، كيف يحل لك ان تولي قاضيا على امانتك وهو كذاب.

ويقال ان المنصور حبسه ثم عاد فدعاه الى القضاء وهدده بالضرب فقبل وعاش بعد القضاء ستة أيام، ويقال انه مات في السجن..

أسباب الحكم وأصوله

لا نرى في ختام هذا البحث افضل من تثبيت رسالة عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري، عاملة على الكوفة التي تعد بحق دستورا للقضاء، ونبراسا للقضاة، يسيرون على ضوئه في مجلس الحكم، وحين تدقيق اضبارة الدعوى... «من عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري عاملة على الكوفة. اما بعد، فان القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم اذا اولى اليك، وانفذ اذا تبين لك، فانه لا ينفع تلکم بحق لا ينفذ، وآس بين الناس في مجلسك ووجهك وعد لك، حتى لا

علماء الغرب

ويطالبون

الخمير والخمر والخمر

محمد بن عبد الله

من علامات الرقي أن يكون في منزل احدهم
(بارا) يحوى العديد من صنوف الخمر
ولا يعلمون ان الخمر - كما وصفها
رسولنا الاعظم بأمر الخبائث - هي معول
يقوض الحضارات ولا يبنيتها ولا هي من
مستلزماتنا . ولقد عشت في بلاد الغرب
حوالي الخمس سنوات وتعرفت على
طباع الاوروبيين وعاداتهم وأخلاقهم .
وكثيرا ما اثير النقاش حول ضرورة الخمر
لمجتمع ما من حيث العادة الاجتماعية .

انه لمن المؤسف ان نجد فئات من
الناس - ممن بهرتهم مظاهر الحضارة
الغربية دون لبابها - يدعون الى أخذ
وتقليد كل ما هو غربي (حضارى) ونبت
كل ما هو شرقي أو على حد تعبير آحادهم
رجعي . وانهم يأخذون القشور المتداعية
التي تلقي هوى في نفوسهم لاشباع
رغباتهم الجامحة . ولناخذ مثلا الخمر .
هؤلاء الناس يدعون الى ابحاثها
ونشرها بين الناس ، وهم يتوهمون أن

يدعون الى تغيير عاداتهم الإجتماعية

بحظر المشروبات الكحولية

بالسيارة فان مدمن الخمر اذا ما تولى قيادة مركبة ما فانه يعتبر خطرا على المارة . والآن فلقد تعلم الجمهور ان الشخص الذى يتناول المشروبات الكحولية مع اصدقائه في ليلة ما من الممكن ان يكون خطرا على الطريق .

والخطورة تزداد اذا ما ازدحمت الطرقات بالمارة وزاد من سرعة مركبته . ولقد نجح الكثير من الدول في استصدار القوانين التي تحرم شرب الخمر قبل قيادة السيارات والتزام تطبيقها بشدة على المخالفين . وتواجه الحكومة كثيرا من المشاكل في تحديد نسبة المواد الكحولية في دم السائق الذى يستحق العقاب في حالة مخالفته لقوانين الحظر . فالمعمول به حاليا في انجلترا وكثير من بلاد الغرب ان المخالف يستحق العقاب اذا بلغت نسبة الكحول في دمه ٨٠ مجم في ١٠٠ سم من الدم غير ان الكتاب الابيض الذى اصدرته اللجنة المنبثقة عن مجلس البحوث البريطانية توصي بأن يعاقب السائق اذا ما بلغت نسبة الكحول في دمه ٥٠ مجم في كل ١٠٠ سم من الدم مع العلم بأن هناك الكثير

وأقول ان الكثير منهم يصفون الخمر بالذع الصفات ويجدونها سوءة في مجتمعاتهم يودون التخلص منها بكل الوسائل وليس أدل على ذلك مما نشر في المجلة الطبية البريطانية في مقالها الافتتاحي بتاريخ ١/١/١٩٦٦ ص ٣ ، ٤ والمجلة اسبوعية وهي لسان حال اتحاد الاطباء البريطانيين ، والمقالة مبنية على بحث قام به مجموعة من كبار العلماء الاطباء بتكليف من مجلس البحوث الطبية البريطانية ، والموضوع يبحث في آثار الخمر على قيادة السيارات ، ولقد اصدرت الهيئة تقريرا أسمته الكتاب الابيض وهذا نص ترجمته :

Alcohol and Driving

ان الادلة تشير الى ان تعاطي الخمر ولو بكمية قليلة يؤثر تأثيرا سيئا على قدرة الانسان في الحكم على الاشياء وعلى مهارته اليدوية . وعلى هذا فيجب على الشعب ان يتبين حاجته الملحة الى تغيير العادات الموروثة في الحياة الاجتماعية المبنية على شرب الخمر . ومنذ زمن مضى وقبل ان يستبدل الحصان

من الحالات التي تقل نسبة الكحول فيها عن ٥٠ مجم والتي تحدث خلافا عقليا يعرض السائق والمارة الى اخطار محققة .

ليست هناك نسبة مأمونة

There is no safe level

فان أية كمية من الخمر مهما قلت فان لها تأثيرا خطرا على حياة مستعملي الطرق ومنهم الشارب نفسه ثم يمضي التقرير في وصف القوانين الاضافية التي استصدرت لحماية المارة من شارب الخمر . ثم يتعرض للاحصائية التي قام بها الدكتور بوركين ستاين من الولايات المتحدة في مدينة ميتشجن حيث يقارن أرقامه بالارقام الانجليزية في مدى تأثير الكحول على حوادث المرور . ولقد دلت الاحصائيات على انه من الممكن تفادي (٣٥٠٠٠) خمسة وثلاثين الف حادثة في العام في بريطانيا وحدها اذا ما انقصت نسبة الكحول في الدم عن ٤٠ مجم في ١٠٠ سم . ويشير تقرير ميتشجن الى أن حوادث المرور الناتجة عن شرب الخمر اكثر خطورة من الحوادث العادية الاخرى . ولقد جاء دور الجماهير في ان تبين الحاجة بأن تمنع أي شارب خمر من أن يقود سيارته ولكن دور الحكومة في سن القوانين وتنفيذها يجب ان يكون العامل الاساسي في معالجة المشكلة . وقد يتساءل بعض الناس ما هو القدر من الخمر الذي يتعاطاه السائق دون ان يؤثر على قدرته في قيادة السيارة والجواب (None لا شيء) غير ان هذا الجواب لا يمكن ان يكون عمليا حيث ان عادات المجتمع في الشرب مستحكمة ، ولهذا فنقول اذا نويت ان تقود فلا تشرب واذا شربت فلا تقد .

كما يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار ان الاجهاد الذي يصيب الشارب له دخل كبير في الحد من قدرته على قيادة سليمة مأمونة وخاصة في سن الشباب اكثر منه بين متوسطي الاعمار من الشاربين .

الحاجة الى عادات اجتماعية جديدة .

New Social Traditions

مما لا شك فيه ان عادات اجتماعية غير مبنية على الخمر بدأت تأخذ طريقها في المجتمعات الغربية وسوف تنمو بمرور الزمن وذلك لوعي الجماهير المتزايد وشعورها بالخطر المترتب على شرب الخمر .

وعلى هذا فالاجيال القادمة سوف لا تواجه مشاكل اليوم بسبب الخمر ، ولكن بدون انقلاب اجتماعي في عاداتنا الغربية - سوف نجد صعوبات شديدة في تطبيق القوانين . ثم يختتم الكتاب الابيض تقريره عن الخمر بقوله :

(اذا أردنا ان نتجنب الوفيات والعاثات المترتبة عن حوادث المرور فيجب ان تتغير عاداتنا الاجتماعية . والناس يجب ان يمتنعوا عن شرب المواد الكحولية قبل قيادة سياراتهم وأن يمتنعوا عن قيادتها بعد الشرب وليس هناك طريق ثالث .

ان تعليم الجمهور بواسطة الخدمات الصحية والمنظمات الاصلاحية يجب ان يلعب دورا هاما لا يقل اهمية عن القوانين المقترحة لابعاد شارب الخمر عن الطريق بسياراتهم) . انتهى الكتاب الابيض .

ان الهيئة التي قامت ببحث هذه المشكلة وكتابة هذا التقرير تتألف من فطاحل العلماء البريطانيين الاخصائيين

الاجتماعية الغربية المبنية حاليا على شرب الخمر كضرورة اجتماعية . ولقد بدأت الهيئات الرسمية فعلا في بلاد الغرب بالعمل على الحد من استعمال المشروبات الروحية واستبدالها بمشروبات أخرى كالكهوه وعصير الفواكه . ومن الشذوذ حقا ان نجد في مجتمعنا من ينادى باباحة الخمر جريا على عادة الغربيين في الوقت الذي هم انفسهم يودون التخلص منها بل وقطعوا شوطا بعيدا في ذلك . اننا لا نأخذ هذا الدرس من بيئتنا وتقاليدنا وديننا بل - ويا للأسف - نأخذه من بلاد الغرب . وتلك حجة كبرى تدمغ حجة من ينادى باباحة الخمر ليظهر تقدمه وتحضره .

قارئى الكريم تلك هي عين الرجعية .
ألا توافقني على ذلك !!

في هذا الموضوع ، وذلك بتكليف من مجلس البحوث البريطانية (أعلى هيئة طبية رسمية في (بريطانيا) تساندهم في ذلك جمعية الاطباء البريطانيين وهي اكبر هيئة طبية حرة في المملكة المتحدة بل في العالم اجمع .

ويكفي ان نعلم أن مجلتها الاسبوعية - حيث نشر هذا المقال الافتتاحي - يطبع منها حوالي مائة الف نسخة توزع على نخبة الأطباء في العالم . وبعد ان ابان التقرير خطورة الخمر على مستعملي الطرق وأن حوادث المرور سببها الرئيسي شرب الخمر وأنه من الممكن تجنب وقوع الحوادث التي يذهب ضحيتها الآلاف من المواطنين فضلا عن العاهات المستديمة الناتجة عن ذلك نجد ان التقرير يحتم الحد من شرب الخمر ، ويقضي بضرورة تغيير اجتماعي شامل في الحياة

ومن الجدير بالذكر ان ننقل للقارئ هنا صورة « زكوغرافية » لما نشرته جريدة الاهرام القاهرية الصادرة في السابع من رمضان ١٢٨٥ هـ الموافق ١٢/٢٩/١٩٥٦ عما يجرى ازاء الخمر في دول غير اسلامية :

قانون سوفيتى هدير لعالمى مدنى لخمير اجباريا

ادمان لخمور ارى الى اضرار بالاقصا لبقوى نتيجة انخفاض الكفاية الانسانية

موسكو في ٢٨ - لراسل الاهرام - بجرى الان اعداد قانون جديد ضمن « قانون الصحة العامة » في الاتحاد السوفيتى يقضى بمعالجة مدمنى الخمر اجباريا . كما يقضى بان يقدم الاطباء مساعداتهم الاولية « في أى وقت وفي أى مكان » لمدمنى الخمر وينص القانون - الذى يعد الاول من نوعه في تاريخ الدول الشرقية - على مسؤولية المديرين الصناعيين وغيرهم من المسئولين الحكوميين في تقديم كل عون ضرورى في هذه الحالات وقد نشر دكتور بوريس بتروفسكى وزير الصحة العامة السوفيتى - في حديث له مع صحيفة ازنستيا - جزءا من مشروع القانون الجديد الذى بجرى اعداده الان أمام اللجان القانونية المختصة في مجلس السوفيتى الاعلى . ويشترك في اجتماعات هذه اللجان دكتور بتروفسكى نفسه وعدد من الاطباء البارزين وكبار المحامين وكبار الشخصيات العامة في الاتحاد السوفيتى ويرجع الاهتمام بقانون معالجة مدمنى الخمر اجباريا الى اشتداد الحملة في الاتحاد السوفيتى اخيرا ضد شرب الخمر . وكانت الصحف السوفيتية قد دعت الى سن مثل هذا القانون كما دعت الى معاقبة العمال الذين ستماطون الخمر بعقوبات من بينها الحسم من مرتباتهم والغاء احازاتهم وشطبهم من قوائم المتفعين بالمساكن الجديدة .

وتشير مشكلة ادمان الخمر لقلق السلطات السوفيتية، لا لتناحها الاجتماعية فحسب ، وانما بسبب الاضرار التى تصيب الاقتصاد القومى نتيجة لانخفاض الكفاية الانتاحية .

ويحدد القانون الجديد حقوق وواجبات الاطباء وكذلك حقوق والتزامات المرضى . كما يؤكد حق المرضى في الرعاية الطبية المجانية . وينص على أن المواطنين السوفيت « ملزمون بالعناية بصحتهم وسحة أفراد عائلاتهم وسحة الاعضاء الاخرين في المجتمع ، ومراعاة قوانين الصحة العامة »

ابن سينا

مترجم

عزيزي القارئ قبل ان اريك الصورة الساطعة لابي الطب ، وامام العلوم الشيخ الرئيس ، والمعلم الثاني ابن سينا ، دعني اعرض عليك ما قاله عنه الغربيون لتحس معي بفخر العرب وعزهم ، وما وصل اليه الطب في ظل الاسلام الحنيف ، دين العلم والمعرفة ، فاستنزل تحت لوائه كل مفكر ، وخرجت الى العالم العربي المؤلفات الرائعة ، والاستكشافات المحيرة ، التي شع نورها ، فعم انحاء المعمورة ، فصنعت التاريخ ، وامتد اجيالا من الاطباء الاوروبيين المبتكرة ، والموسوعات الضخمة ، التي كانت اساسا متينا للنهضة الحديثة .

يقول سودهوف : اية عظمة ، واية عبقرية هذه التي جمعت مثل هذه المعارف النظرية والعملية للطب مع كل فروعها ، ونظمتها بشكل فريد في نوعه ، فاصبح كتاب ((القانون)) لابن سينا تحقيقا هاما فريدا من نوعه ، بين كتب الطب في كل العصور .

وقال فيلادموفيتز مولندروف : ان الرئيس قد تفوق على الجميع بتنظيمه المنهجي وبتقسيمه المنطقي ، وبوضوحه البليغ ، وبترتيبه الباهر ، وتماسكه المحمود ، لقد تفوق بهذا كله على كل طرق جالينوس المعقدة حيننا ، والعميقة احيانا ، والمغلوبة غالبا . ولقد وفق ابن سينا في القاء الظل على شهرة جالينوس والاعريق ، وصار اعظم معلمي بلاد الغرب خلال سبعمائة سنة .

للدكتور محمد ابو شوك



مولده ونشأته

ولد ابو علي الحسين بن عبد الله ابن سينا في « بلخ » في عام ٩٨٠ م (٣٧٠ هـ) وانتقل ابواه الى بخارى ، وفيها تلقى العلم ، وحفظ القرآن ، ولما يبلغ العاشرة من عمره ، ثم تفقه في الدين ودرس الحساب والمنطق والهندسة والنجوم . ثم قرأ كتاب ما بعد الطبيعة . ويقول انه اعاد قراءته اربعين مرة ، فلم يفهمه ، الى ان عثر على كتاب لابي نصر الفارابي في اغراض ما بعد الطبيعة ، فأعانه ذلك في فهم ارسطو . ولما بلغ السادسة عشرة من عمره رغب في الطب ، فتأمل الكتب المصنفة فيه ، وعالج تأديبا لا تكسبا ، ثم ارتقى علمه حتى فاق الأوائل والأواخر في اقل مدة ، واصبح فيه عديم القرين فقيد المثل . قال ابن سينا « وبرزت فيه حتى بدأ فضلاء الطب يقرأون علي علم الطب ، وتعهدت المرضى ، فانفتح علي من انواع المعالجات المقتبسة ما لا يوصف ، وكنت ارجع في الليل الى دارى ، واضع السراج بين يدى ، واشتغل بالقراءة والكتابة ، ومهما

بلغني النوم او شعرت بضعف عدلت الى شرب قذح من الشراب ريثما تعود الي قوتي ، ثم ارجع الى القراءة حتى استحکم معي جميع فنون العلم ووقفت عليها بحسب الامكان الانساني .

ولقد اطلع ابن سينا على مكتبة نوح ابن منصور ، الذي كان قد عالجه ، وشفي على يديه ، فنهل منها ما شاء الله ان ينهل ويشبع رغبته في الاطلاع ، فظفر بفوائدها ، وألم بما فيها .

ولما مات ابوه ارتحل الى خوارزم ، ومنها الى جوزجان ، ثم الى الري ، ومنها سار الى همدان ، فاستوزره ، شمس الدولة فحدثت فتنة في المعسكر ، ادت الى خلع ابن سينا وسجنه . وبعد مدة

على المريض الا يقوم بحركات خاصة ، او يتبع نظاما على غير عادته ، كالصيام والتأخر في النهوض ، او الامعان في التعب ، لأن كل هذا يؤثر كثيرا في تركيب البول ، كما ان القيء يؤثر على تركيبه . اذن فالنتائج التي نصل اليها من تحليلنا للبول تعتمد على لونه وكثافته ومدى صفائه او تعكره وعلى رائحته ورفوته .

فنظرة واحدة الى هذا تجعل الطبيب منا يحس كل الاحساس قدرة هذا الرجل : فنحن لم نزد على ما قاله من شروط من الف سنة مضت الا النذر اليسير .

سبق الطب الحديث :

ثم كان اول من شرح التفرقة بين اليرقان الناشئ من انسداد القنوات الصفراوية ، وبين الذي ينشأ من انحلال الكرات الدموية الحمراء .

وكان ابن سينا اول من اكتشف ووصف عضلات العين الداخلية ، كما سبق غيره الى معرفة بعض الامراض التي تنتقل بواسطة مياه الشرب ، وقال ان السبب في ذلك يرجع الى وجود حيوانات دقيقة لا ترى بالعين ، يتعاطاها الانسان في الماء دون ان يحسها . ومن هذا نرى انه يطابق ما توصلنا اليه بعد اكتشاف الميكروسكوب .

ثم انظر الى ابن سينا عندما خالف القدماء من ان الانسجة : مثل المخ والانسجة العظمية لا تلتهب فكان اول من اكتشف التهابات غشاء المخ وميزها عن الالتهابات المزمنة ووضع اول وصف دقيق عن التهاب السحايا في تصاب عضلات الرقبة وانحنائها الى الوراء بالضبط كما نصفها ونشاهدها الآن . وينسبها الاوروبيون الى انفسهم .

ثم ان الشيخ الرئيس كان اول من وضع تشخيصا دقيقا عن التهاب الاضلاع ، والالتهاب الرئوى وخراج الكبد وفرق بين الالتهاب الرئوى والتهاب

مرض شمس الدولة فاخرج ابن سينا من سجنه ، وعالجه حتى شفي فأكره واعاده الى سابق مكانته .

وقال الجوزجاني « كان ابن سينا يقضي النهار في خدمة الامير ، والليل بين القراءة والتدريس والتأليف ، وكان يجتمع في داره طلبة العلم ، وكنت أقرأ من الشفاء نوبة ، وكان يقرأ غيرى من القانون نوبة ، فاذا فرغنا حضر المغنون على اختلاف طبقاتهم ، فغنوا واطربوا » .

ثم تولى تاج الدولة ولم يستوزره ، فذهب ابن سينا الى اصفهان وحل على اميرها علاء الدولة بن جعفر بن كاكويه فرحب به وقربه اليه وظل معه حتى وافته منيته .

منزلة ابن سينا في الطب :

لقد كان لابن سينا باع واسع في الطب ، عمل فيه بفكره ووجدانه ، وتطرق الى جميع فروعها ، فنبغ فيها ، وألف فاجاد التأليف . وهذا كتابه « القانون » اكبر دلالة على ذلك . فلقد كان نبراسا وموردا غنبا للغرب ، اخذ عنه ، وارتشف منه مدة سبعمائة عام .

ولننظر معا في بعض النواحي التي تطرق اليها ابن سينا لنرى ما وصل اليه من علم ودراية .

تحليل البول :

خذ مثلا فيما قاله عن البول « علينا الا نشق بنتائج تحليل البول الا اذا توافرت الشروط التالية :

ان يكون البول اول بول من المريض ، اى بول الصباح ، على ان لا يكون المريض قد شرب ماء بكثرة ، او اكل ما يسبب تلوين البول كالزعفران ، كذلك يجب

كيف نبصر :

ثم انه خالف الأطباء اليونانيين في نظريتهم التي تقول بان شعاع الضوء يخرج من العين ويصطدم بالمرئيات فتحصل الرؤية ، وقال ما معناه ان اشعة الضوء القادمة من الجسم المرئي ، هي التي تدخل العين ، وتحولها العدسة الى شيء يمكن ادراكه ، وهذه اقرب الى الصواب من النظرية الحالية .

ثم ان ابن سينا وصف عضلات العين الداخلية وصفا دقيقا ، سبق به المشرحين الغربيين في هذا المضمار .

اوربا تتلمذ على كتابه :

وكتاب ابن سينا « القانون » كان منارا للطب في الشرق والغرب « ولقد اعتمد عليه الغرب في بدء نهضته ، فظهر في ميلانو سنة ١٤٧٣ ، ثم بعد مرور سنتين طبع للمرة الثانية ، وظهرت له تعليقات وشروح بقلم ايطالي لقب « بروح ابن سينا » وظهرت الطبعة الثالثة للكتاب قبل ان تطبع مخطوطات جالينوس ، وحتى عام ١٥٠٠ م كان هناك ستة عشر طبعة للقانون ، مقابل طبعة واحدة لجالينوس في جزأين اثنين .

وفي القرن الذي يليه زاد عدد الطبعات الى عشرين وظلت الطبعة تلي الطبعة الى منتصف القرن السابع عشر . وبهذا يكون كتاب « القانون » اكثر كتاب طبي درسه طلاب العلم في تاريخ العالم .

وهذا والله فخر اى فخر ولا عجب فكتاب « القانون » يعتبر موسوعة علمية كبرى ، قال ابن سينا في مقدمته « اما الآن فانني اجمع هذا الكتاب ، واقسمه الى كتب خمسة على هذا المثال : الكتاب الأول في الأمور الكلية في علم الطب . الكتاب الثاني في الأدوية المفردة . الكتاب الثالث في الأمراض الجزئية الواقعة بأعضاء الانسان عضوا عضوا من الفرق الى القدم ظاهرها وباطنها . الكتاب الرابع في الامراض الجزئية التي اذا وقعت تختص بالعضو . وفي الزينة

البالورا . ثم وصف بدقة عوارض المغص المعوى والمغص الكلوى . وكذلك وصف سبب شلل عصب الوجه عن سبب مركزى بالمخ ناتج من التهابات او ضغط على العصب في طريقه من المخ الى الوجه .

ابن سينا الجراح :

ثم نظرة الى طريقة علاجه للجروح . فلقد كان في وقته فكرة تقول ان تقيح الجروح عملية طبيعية مرغوب فيها ، ويسعى الطبيب الى الاستمرار عليها ، ودعمها لكي يشفى الجرح . فخالف كل هذا ، وعمل كل ما في وسعه لتجنب التقيح ، او استعمال اى مادة تسبب التقيح ، وأخذ يستعمل اللزوقات الساخنة ، مع الخمرة المعتقة القوية ، التي على ما يعتقد كانت السبب في قتل الميكروب الذى يسبب التقيح .

وبهذه الطريقة العجيبة انتصر ابن سينا في قديم الزمان ، ايام لم يكن هناك المضادات الحيوية كالبنسلين وغيرها ، انتصر على الجروح المزمنة المتقيحة ، التي كانت تستمر مددا طويلة وتقضي على المريض .

عنايته بنفسية المريض :

ثم نظرة واحدة الى فلسفة ابن سينا نحو الاثر النفسى في حالة المريض ، التي نادى بها الآن ، والتي كانت تنكرها اوروبا في عصور الظلام ، ايام كان العلم يرفرف على الامبراطورية الاسلامية ، ويشع منها الى اجزاء العالم المختلفة ، فهذا قوله الخالد : علينا ان نعلم ان احسن العلاجات وانجعها هي العلاجات التي تقوم على تقوية قوى المريض النفسية والروحية ، وتشجيعه ، ليحسن مكافحة المرض ، وتجميل محيطه واسماعه بما عذب من موسيقى وجمعه بالناس الذين يحبهم . ولقد تطرق ابن سينا الى الأمراض الجلدية العديدة ، ووصفها بدقة فائقة ، وكذلك الجهاز البولي ، والاجهزة التناسلية .

الفن الرابع في العلاج

الكتاب الثاني من القانون خاص بعلم الصيدلة .

والكتاب الثالث يحتوي على نيف وعشرين فنا في امراض الرأس والدماغ والعقل والأعصاب والعين والأنف والأذن والحنجرة والفم والاسنان والرئته والقلب واعضاء الهضم والتناسل للذكور والاناث .

الكتاب الرابع يحتوي على :

- ١ - الحميات وعلاجها
- ٢ - مال المرضى
- ٣ - في الاورام والبثور
- ٤ - الكسر والخلع والتجبير
- ٥ - في السموم
- ٦ - في الزينة

الكتاب الخامس كتاب الاقرباذين أعني تركيب الأدوية .

ونظرة الى ما احتواه كتاب ((القانون)) تظهر جليا عظمة الفيلسوف والطبيب والعالم ابن سينا .

ولقد احصيت مؤلفات ابن سينا فبلغت مائة وسبعة ، فلم تقتصر جهوده على الطب بل تمدتها الى سائر علوم عصره ، فبرز فيها ونبغ ، فاستحق لقب الشيخ الرئيس .

وفاته :

لقد مرض بتقرح في امعائه ، واشتد عليه المرض اثناء سفره مع علاء الدولة الى اصفهان ، فازداد ضعفه ، ولما احس انه لا امل في شفائه ، اغتسل وتاب ، وتصديق بما معه على الفقراء ، ورد المظالم على من عرفه واعتق مماليكه ، ومات في رمضان عام ٤٢٨ هجرية وعمره ثمان وخمسون سنة .

رحم الله الشيخ الرئيس فلقد خلف وراءه ذكرى وعلما وأدبا سيبقى على مر الزمن مخلدا في سجل الخالدين .

كذلك . الكتاب الخامس . في تركيب الأدوية .

ولكي نحس بعظمة « القانون » تعالوا نتصفح ما حوى من علم لتعرفوا مدى ما وصل اليه ابن سينا . فالكتاب من كتب القانون مقسم الى ابواب سماها ابن سينا فنونا ، والفن مقسم الى مقالات سماها تعاليم ، والتعاليم مقسمة الى فصول .

ففي الكتاب الأول . بحث في تعريف الطب وموضوعاته ، ويحتوي على أربعة فنون .

- الفن الأول / به ست تعاليم
- أ - تعريف الطب واغراضه
- ب - ابحاث العناصر الاربعة
- ج - ثلاث فصول في الامزجة
- د - فصلين في الاخلاط
- هـ - خاص بالتشريح

و - ابحاث في وظائف الاعضاء وعلم النفس .

الفن الثالث في خمسة تعاليم

- أ - ثمانية فصول في تعريف الامراض واسبابها وانواعها .

ب - مسببات الامراض وعوامل البيئة المختلفة ، واثرها في صحة الانسان كالطقس ، والتربة والغذاء والماء .

ج - اعراض الامراض وعلامتها ، وبه ملحق في النبض وفصول في فحص البول والبراز .

الفن الثالث في خمسة تعاليم

- أ - تدبير المولود وفصله عن الرضاعة وامراض الصبيان وعلاجهم .

ب - في الرياضة والحمام وتدبير الغذاء .

ج - ستة فصول في امراض الشيخوخة وتدبير الشيوخ .

د - في تدبير الامزجة واصلاحها .

هـ - في تدبير المسافرين .

العظيم او ان اكثر الاحاديث دخيلة
موضوعة بعد ظهور الاسلام بقرنين ..

تعليق

هذه لقطات من الجزء الاول من كتابه .. وليس
ما سجلناه هو كل الشذوذ من هذا الرجل ، ولو
شئنا ان نحاسبه في محكمة العدل والانصاف ،
ونحصى عليه اخطائه لوجب ان نثبت جميع
كتابه ، وبؤاخذه بكل كلمة .. كلمة ، ونصدر في
رده مجلدات لاني لم أر في كتابه موضوعا نقله
بأمانة ، وانما شوه تاريخ الاسلام كما يشاء
الاستعمار ..

فانظر الى هذا المستشرق المفرض
الذي يسترسل في خدمة الاستعمار المسيحي الى
ابعد الحدود ، ولا يعرف ذلك الشيء الذي يسمى :
ب (الضمير) ولا يؤمن بالتواريخ والسير .

فهو أولا - يعتبر النبي صلى الله عليه وسلم
مشركا في السنوات الاولى من بعثته ، والقرآن
من تأليفه وجماعة آخرين من جزيرة العرب
وخارجها ، ولا يعتبره من عند الله .. ثم يسجل في
القرآن آية لم يعرفها حتى النبي صلى الله عليه
وسلم نفسه (تلك الفرائيق العلى وان شفاعتهن
لترتجى) ... وذلك يدلنا على مدى ثقافة
المستشرقين وتصلعهم في الاسلام .. وأظن ان هذا
الرجل حسب ان القرآن كتاب كالانجيل يحرف
كل يوم .

ومثل هذا العميل الذي لا يشعر
بوخز الضمير ، ولا يعرف مضمض الكذب
والافتراء على اى شيء كان ، من الهين
عليه بعد ذلك ان يقول ان معرفة النبي
بالكتاب المقدس كانت ضئيلة مفلوطة ،
او يفرض على الناس كثيرا من العبادات
تلبية لرغبات اليهود .. او ان احبار
يهود المدينة كانوا اوسع ثقافة من النبي

يقول هذه وأكثر منها ، ويحسب
ان المسلمين معتوهون مثله ، او انهم لا
يمييزون اعداءهم من احبائهم ، ولكن
المسيحي الما جور لا بد ان يكتب هكذا عن
الاسلام ..

غير ان الذى يثير العجب من غباوته
ان يدلف نحو الامام الحسين (عليه
السلام) ويجعله من زعماء الارستوقراطية
الذى لم يكن لوته اى اثر سياسى ، مع
العلم ان الحسين (عليه السلام) هو من
يعرفه الجميع ، ولم يكن جنديا نائها ،
يتحدث عنه الناس بما يشاءون .. ولكنه
ابو الاحرار ، وبطل الثورة على الظلم
والظفیان التى عصفت بالعروش والتيجان
حتى جعلتها هشيها تذوره الرياح ،
وحولت السياسة العالمية ووسمتها
بطابعها الثورى العتيد ، البارز الصور ،
والالوان ، والجوانب ، والالواح ..
ولكن المستشرقين لا يعقلون ..

ولكن هذه فلسفة المستشرقين ،
وهكذا تكون ثقافتهم الواعية العميقة ،
وكذلك تكون حقوق الابطال والتاريخ
محفوظة عندهم ، وتلك هى امانة القلم ،
وطهارة البيان فى منطقهم ، وذلك هو
حرصهم على نوااميس الحقائق وأمجاد
المسلمين ..

● قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم . ليس خيركم من ترك
الدنيا للآخرة ، ولا الآخرة للدنيا ،
ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه .

في جوار الله



أكبر دولة في أفريقيا تضم نحو ستين مليونا من السكان ، وأكبر دولة إسلامية من حيث تعداد المسلمين فيها إذ يبلغون نحواً من خمسة وثلاثين مليونا .. أكثرهم في الولاية الشمالية التي كان يرأس وزارتها المغفور له الشهيد أحمدو بيللو ، وكان من الطبيعي أن يكون رئيس الجمهورية من المسلمين ، لكن مقتضيات التوازن الداخلي دعت لأن يكون رئيس الجمهورية من غير المسلمين على أن يكون رئيس الوزارة الاتحادية أو المركزية مسلماً ، وكان هو المغفور له الشهيد أبو بكر تيفاوا باليوا .. أي أن المسلمين كانوا يمثلون بذلك السلطة العليا تقريباً في الدولة ، وكان الزعيمان الشهيدان يمثلان مع هذه السلطة زعامة إسلامية مخلصمة متفانية في خدمة دينها وبلادها ولا سيما أحمدو بيللو الذي كان يعتبر الأب الروحي لجميع المسلمين هناك ، عرفت المغفور له أحمدو بيللو عن طريق الشيخ أبي بكر جومي قاضي قضاة نيجيريا الذي مثل نيجيريا في مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، وقابلته مرتين : مرة في مكة أثناء الحج عام ١٣٨٣ هـ ومرة ثانية عندما زار الكويت أخيراً وكان يصحبه في المرتين القاضي القضاة الذي يجيد العربية والذي يعتبر هناك من أبرز الشخصيات العاملة في الحقل الإسلامي ..

كان أحمدو بيللو حريصاً دائماً على تنمية العلاقات بينه وبين البلاد العربية ، وكان يقف في وجه كل نفوذ أو تسلل إسرائيلي في نيجيريا الشمالية ، لأن أي نشاط إسرائيلي سيكون موجهاً ضد العرب وهو يقف في الصف الأول مع العرب المدافعين عن قضية فلسطين . وطالما عرضت عليه إسرائيل مساعدات فنية أو غير فنية فرفضها برغم شدة حاجة بلاده إليها ، وكان كثيراً ما يناشد العرب ألا يتركوا فراغاً في بلاده أو غير بلاده يمكن إسرائيل أن تستغله لصالحها . فكان بذلك يعيش مع العرب في آمالهم والامهم .. أثناء التقائي بالحاج أبي بكر في القاهرة حدثني عن جمعية « نصره الإسلام » التي تعمل هناك في نشر الإسلام بين الوثنيين، وتعمل في الوقت نفسه على تعميق المفاهيم الإسلامية بين المسلمين أنفسهم وقدم لي كراسة عن مبادئ الجمعية ومناهجها وعمّا أنجزته من أعمال .. فرجوته أن يتعد بنشاط الجمعية عن ميدان السياسة ، ويقصر جهودها على بث الوعي الإسلامي الخالص وجذب أكبر عدد ممكن من الوثنيين إليه حتى لا تصطدم برجال السياسة فطمأنني قاضي القضاة وقال لي إن رئيس الجمعية فعلاً هو الرئيس أحمدو بيللو ، وهو الذي عمل على تأليفها ويرعى جهودها ، وأخرج لي برفقة مرسله إليه من الجمعية تبشيره بأن عدد الذين اعتنقوا الإسلام بلغ ستين ألفاً في خمسة شهور .

وقبل اغتياله بنحو أسبوع كان يؤدي العمرة ويزور مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ويقضي بضعة أيام من رمضان في الرحاب المقدسة . وكان من المتفق عليه أن ينعقد في نيجيريا مؤتمر إسلامي في ١٥ شوال الماضي لبحث ما يهم المسلمين تحت إشرافه ..

وقبل أن ينعقد المؤتمر امتدت الأيدي الأئمة لتقتله هو وزوجته ، بينما تمتد يد آئمة

أخرى لتقتال الزعيم المسلم الآخر أبابكر تيفاوا في الجنوب ، ثم توافينا الانباء بأن الهدف الأساسي من التمرد الذي تزعمه « نزوجو » كان اغتيال احمدو بيللو « بينما كان الجيش في المناطق الأخرى يعمل في تناسق كامل وأن العملية كانت مخططة باحكام شديد » وانباء أخرى تقول : بأن يد الوثنيين كانت من وراء ما حدث هناك . « ترى ما المقصود اذن من هذا التخطيط المحكم » وأية ضربة وجهت الى المسلمين هناك وفي كل مكان .. وأية خسارة أصيب بها العرب وقضية فلسطين في نيجيريا الشمالية باغتيال احمدو بيللو .

ثم ماذا كان صدق هذه الحادثة المشؤمة في البلاد العربية وصحافتها وأجهزة اعلامها ؟ وما مدى عنايتها بفقد نصير عظيم للعروبة والاسلام هناك ؟ هل اهتمت به كما اهتمت بغيره ممن لم نعرف لهم مواقف كريمة في سبيل العروبة والاسلام ؟ آسف

رابطة العالم الاسلامي

وقد تلقينا من رابطة العالم الاسلامي بمكة هذه البرقية التي تنعي فيها الشهيد احمدو بيللو .

**« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون »
(صدق الله العظيم)**

بمزيد من الاسى والحزن العميق تنعي رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة علما من اعلام الاسلام وركنا من اركان هذه الرابطة هو الشهيد الحاج احمدو بيللو ، عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي ، ورئيس وزراء نيجيريا الشمالية ، ورئيس جمعية نصر الاسلام فيها الذي نذر نفسه لنشر الدعوة الاسلامية في القارة الافريقية ، مضحيا بكل غال وثمان في سبيل ارضاء الله ولقد كان ماضيا في مسعاه بالنجاح ، الى ان انسلت يد الائم والقدر والخيانة وطعن القلب الكبير الذي كان لا يام خلت في هذا البلد الأمين يؤدي نسك العمرة ، ويردد قوله : « ان المسلمين لن يستقيم لهم حال ، ولن يقوم لهم مجد الا اذا جمعتهم اخوة الاسلام ، وبغير ذلك سيظلون مغلوبين على امرهم ، يتحكم فيهم اعداء الله جميعا » .

لقد صدق الشهيد اذ ادرك ان طريق الدعوة محفوف بالمخاطر ، وان الأعداء بالمرصاد ، ولكن هذا الدم الزكي الذي اريق على أرض نيجيريا المسلمة ، سينبت بأذن الله اغراسا طيبة ، تعمل بهدى الله ورسوله ، والمخلصين من عباد الله والشهداء والصديقين والصالحين ، وان الدعوة ماضية في أمرها ، وهذا أول شهيد لها ، نرجو ان يكون مسكنه جنات عدن مع الخالدين .

هذا هو الرجل الذي فقده العالم الاسلامي ، تقدمه الله برحمته العظيمة اذ يقول « يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » وانا لله وانا اليه راجعون .

الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي

اعرف

وطنك

موريتانيا

الإسلامية
محرر من

(بلاد شنقيط)

اعداد

ادارة الشؤون الاسلامية بالوزارة

موريتانيا ليس الاسم العربي الاسلامي لهذه البلاد، وانما جاءها مع الاستعمار حيث تعنى كلمة (مور) في الاسبانية السمير ، والاسم يدل على بلاد السمير أى ان سكان البلاد سمير الوانهم ، وكان الرومان يطلقون هذه الكلمة على كافة البلاد التي تقع غربي تونس .

اما الاسم العربي الاسلامي فهو (شنقيط) نسبة الى قرية صغيرة وسط البلاد ومعنى الكلمة البربرية عيون الخيل وحين وصل الاسلام الى هذه البلاد اخذت المنطقة بكاملها اسم هذه القرية التي اشتهرت بكثرة علمائها وقد بقى هذا الاسم يدل على هذه المنطقة طيلة العهود الاسلامية والى فترة قريبة جدا حيث جاء الاستعمار ، واحتلت فرنسا البلاد وقسمت المغرب ففصلت منه هذا الجزء واطلقت عليه الاسم الروماني القديم وهو ((موريتانيا)) .



موقعها :

وهو عدد قليل الى هذه المساحة الواسعة
وسيزداد هذا العدد بسرعة بعد ان
اكتشفت المعادن وبدأت علائم نهضة
صناعية حديثة تظهر .

طبيعة البلاد :

تمتد موريتانيا بين خطي عرض
١٥ - ٢٧ر٥ شمال خط الاستواء ..
اي ان مدار السرطان يخترقها من
قسمها الشمالي مما يجعل هذه المنطقة
صحراوية المناخ .. ويمكن ان نميز في
موريتانيا منطقتين :

موريتانيا او شنقيط كما سماها
المسلمون من قبل هي تلك البلاد الواقعة
في افريقيا الشمالية الغربية ، ويحدها
من الشرق جمهورية مالي ، ومن الشمال
الشرقي الصحراء الجزائرية ومن الشمال
الغربي الصحراء الاسبانية ، ومن الغرب
المحيط الاطلسي ومن الجنوب نهر
السنغال وحكومة مالي وتمتد على
مساحة (٤١٩) ألف ميل مربع .

يسكنها ما يقارب المليون نسمة ..

اعرف وطنك

نهر السنغال والتي ينتظر ان تحسن الزراعة ووسائلها في القريب ويعتبر الشاطيء الموريتاني من اغنى سواحل العالم بالاسماك .. ويمكن ان تكون موريتانيا من أكثر دول العالم المصدرة للأسماك ومع ذلك فلم ينتبه سكان موريتانيا الى هذه الثروة .. وان كان من المقرر ان تقام هناك عدة مصانع للأسماك وتحضيرها .

اما الصناعة فلا تكاد توجد .. اما خامات البلد .. فقد كانت تقتصر على الملح اما الآن فقد اكتشفت في البلاد كميات هائلة من اجود انواع الحديد والنحاس في العالم كما يظن بأن البلاد غنية بالنفط .

اما طرق المواصلات فهي قليلة بل نادرة ولولا خط واحد انشئ اخيرا لكانت المواصلات معدومة وعلى كل فان موريتانيا تتقدم بسرعة مذهشة .. بالنسبة لثروة البلاد ومصادرها .. واهم مدنها (نواكشوط) . وهي العاصمة ، اطار ، شنقيط ، بويتملت .

موريتانيا عبر التاريخ

لا يعرف شيء عن تاريخ هذه البلاد قبل الفتح الاسلامي ، ويعود تاريخ الاسلام في تلك البلاد الى النصف الثاني من القرن الهجرى الاول .. حيث تم فتح تلك البلاد على يد عقبة بن نافع ثم موسى بن نصير ومن تلك الفترة خلت بلاد شنقيط من كل ديانة عدا الاسلام .

ولقد كانت بلاد شنقيط مراكز لدولة الادارسة التي اسسها ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن ابي طالب رضى الله عنهم في عام

١ - منطقة تمتد بمحاذاة الساحل وتتألف من تلال وسهول وأثر البحر في مناخها ضئيل .

٢ - منطقة صحراوية تمتد في الداخل وتتألف من تلال وسهول حجرية .

ثم هناك السهول في الجنوب على ضفاف نهر السنغال كسهول شمامة وبراكنا .

حالة البلاد الاقتصادية

يعتبر الرعي هو الطابع المميز لاقتصاديات البلاد ، ويرعى في هذه البلاد سبعة ملايين رأس من الأغنام ومليون رأس من الأبقار ومليون من الابل بالاضافة الى الخيول التي يعتني أهل موريتانيا بتربيتها .. ولكن مما يؤسف له انه لا توجد اسواق لبيع المواشي في موريتانيا ولا توجد الا في السنغال مما يجعل أهل البلاد فريسة سهلة في ايدي المحتكرين بالسنغال .

والزراعة في موريتانيا بدائية جدا .. وهي اكثر ما تكون في الجنوب حيث السهول الخصبة على ضفاف نهر السنغال ، فأرض شمامة هي أرض الزرع والضرع وعليها يعتمد سواد الموريتانيين من أهل الفلح والحيوان واهم المزروعات هي البطيخ والقمح والشعير والنخيل والصمغ العربي .

وهناك بعض السدود التي تقوم على

١٧٢ هـ والتي دانت لها دول المغرب
بأكملها .

وكذلك كانت شنقيط مركز دولة
المرابطين التي كان لها فضل الجهاد ورد
خطر الصليبيين عن المغرب وتأخير
سقوط الاندلس بيد الاسبان بعد معركة
الزلاقة معهم عام ٤٧٥ هـ وقد أسس
هذه الدولة العظيمة (يحيى بن ابراهيم
الجدالي) من قبيلة (المتونة) احدى
قبائل صنهاجة يساعده ويشد عضده
اخوه ابو بكر بن عمر الذى تولى الامامة
بعده . . وقد استعان بابن عمه (يوسف
ابن تاشفين) (١) الذى اتجه نحو الشمال
وجاز البحر الى الاندلس ليرد الاسبان
ويقف في وجه الطغيان . .

وكذلك كانت بلاد شنقيط مركزا
لدولة الموحدين التى سارت على نهج
المرابطين فعملت لنشر الدين وضمت
اجزاء المغرب واجتازت البحر الى
الاندلس لتقف في وجه الاسبان ورد

الطغيان الصليبي ، وهكذا نجد في الاسلام
قوة وحيوية متجددة على مدى الايام ،
تهزأ بالجيوش ، وتذك العروش ، وهي
وان فترت بعض الوقت فحكمة من الله
يرسمها ليؤمن من آمن عن بينة ويكفر
من كفر عن بينة ، ففي الاوقات العصيبة
يلجأ ضعاف الايمان الى أصحاب النفوذ ،
يبغون عرض الحياة الدنيا ، ويقنع
المؤمنون بالكفاف ويصبرون على العذاب ،
ويطلبون النصر من الله ، (انا جعلنا ما
على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم
احسن عملا ، وانا لجاعلون ما عليها صعيدا
جرزا) « الكهف » ثم قامت في شنقيط
الدولة السعدية سنة ٩١٥ هـ ثم جاءت
أخيرا الدولة العلوية منذ (١٠٦٩) هـ
وفي عهد هذه الاسرة تعرضت البلاد
للاستعمار . . الذى قسمها اقساما
سمى بعضها موريتانيا وبعضها المغرب . .
وخضع بعضها للاسبان وبعضها
للفرنسيين . . ولقد استطاعت فرنسا ان
تحتل البلاد نهائيا في عام ١٩٣٤ ، وقد

(١) هو يوسف بن ابي بكر ابراهيم المصالي الصنهاجي (نسبة الى صنهاجة وهى من اشهر
قبائل البربر) أمير المسلمين وملك الملمثين وبانى مدينة مراکش واول من دعى بأمير المسلمين ، ولد في
صحراء المغرب وولاه ابن عمه ابو بكر بن عمر امارة البربر ، كان ابن تاشفين هذا رجلا حازما شجاعا
عادلا ، شديد التمسك بالاسلام ما زال يترقى في المراتب حتى شمل سلطانه المغرب الاقصى والاوسط
ودانت له الاندلس (اسبانيا) وكان لعدم افتتانه بابهة الملك يخطب لبنى العباس تمسكا بالوحدة الاسلامية
وهو يشبه صلاح الدين الايوبي او يشببه صلاح الدين من عدة وجوه فكما ان صلاح الدين انقذ فلسطين
من ايدي الصليبيين وحرر المشرق العربى باسم الاسلام وهو من غير العرب فكذلك حرر ابن تاشفين
المغرب العربى (اسبانيا) اذ انقذ هذا القطر من نصارى الشمال وسحق جيوشهم فيه باسم الاسلام وهو
من غير العرب ولقد كان هذا الملك لا يعرف العربية الا قليلا ولذلك كان له مترجم يعرف العربية والبربرية ،
ومن مظاهر تمسكه بالاسلام ووفائه للجامعة الاسلامية ان كتب على دنائير مملكته (لا اله الا الله محمد
رسول الله) وتحت ذلك (أمير المسلمين يوسف بن تاشفين) وكتب في دائرة الدينار (ومن يتبغ غير
الاسلام دينا فلن يقبل منه) وكتب على الصفحة الاخرى من الدينار (الامير عبد الله امير المؤمنين
العباسي) (ومن ابرز صفاته العالية عزوفه عن الدنيا مع تراميها تحت قدميه فقد حدث ان جمعت
الفنائم بعد معركة (زلاقة) التى طحن فيها جيوش الاذفونش الصليبية باسبانيا فلما جمعها الجند بين
يديه عف عنها ولم يأخذ منها فلسا واحدا بل تركها لعرب الاندلس بعد ان افهمهم انه لم يأت للسلب
والنهب وانما جاء للجهاد في سبيل الله فأكبره اهل الاندلس واحبوه فبايعه ملوكها (وكانوا ثلاثة عشر
ملكا) وهؤلاء الملوك هم ملوك الطوائف الذين قضت على وحدتهم الاسلامية (نعاتهم القومية) مما اضطرهم
امام تفرقهم وخطر الصليبية الزاحف من فرنسا عليهم الى الاستنجاد بهذا الملك البربرى المسلم الذى
حضر ساعة الصفر فأنقذهم بكفاحه واظلمهم برماحه كان مولد هذا الملك العظيم (بصحراء المغرب)
سنة ٤١٠ هـ ووفاته كانت بمدينة مراکش سنة ٥٥٥ هـ رحمه الله ورضي عنه وأرضاه .

ثم ما كان من فرنسا ان الحقت البلاد بالسنغال واصبحت عاصمتها في سان لويس . ولكن في عام ١٩٥٧ م اضطرت فرنسا امام تصميم الشعب الموريتاني الى اعطاء البلاد حكما شبه مستقل وتألقت اول حكومة برئاسة مختار بن داه وانتقلت العاصمة الى نواكشوط .

وفي عام ١٩٥٨ منحت فرنسا موريتانيا استقلالها ضمن الاطار الفرنسى وتشكلت بذلك الحكومة الاسلامية الموريتانية .

ثم في عام ١٩٦٠ حصلت موريتانيا على الاستقلال التام وذلك في ٢٦ تشرين الثانى ودخلت هيئة الامم المتحدة .

وأخيرا

فهذه موريتانيا الدولة المسلمة العربية التي أخرجت فطاحل العلماء والدعاة المسلمين والتي كانت في فترة ما حامية لكل المغرب العربي من هجمات الصليبيين ، وأهلها كما وصفهم المؤرخ بن حوقل في القرن الرابع الهجرى بقوله (وهم اهل بأس ومعجزة ، مفطورون على الفروسية ويسرعون في اختراط السيف وخوض غمار الحرب) .

ان موريتانيا تدعونا اليوم ان لا ندعها وحدها تخطط لنفسها بعيدة عن اخواتها الدول العربية والاسلامية الاخرى ، لأن المعارك الضارية التي تخوضها الأمة الاسلامية ضد قوى البغي والعدوان تستلزم تضافر جهود وتوحيد القوى وتوجيه الطاقات لضرب خصوم الاسلام المتربصين بنا الدوائر والذين لا يريدون للأمة الاسلامية ان تعيش في ظل الاسلام وتحث راية القرآن (يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان ينسم نوره ولو كره الكافرون) .

ظهرت في هذه المعارك بطولات الاسلام الاولى وقتل فيها كثير من ضباط الاستعمار وجنوده واستشهد فيها عدد غير قليل من مجاهدى وابناء البلاد .

ولولا تفرق البلاد الى سبع امارات متخاذلة لما استطاع الاستعمار ان يقهر هذه البلاد الاسلامية ابدا وحين انتهت مقاومة الموريتانيين نهائيا عام ١٩٣٤ هـ احتلت اسبانيا منطقة (ايفنى) المراكشية واصدرت قرارا بضمها لبلادها وما زال الامر كذلك حتى اليوم .

ومنذ ان استتب الامر للمستعمرين عملوا قصارى جهودهم لمحاربة الاسلام والعربية بعد ان هالهم وادهشهم انتشار الاسلام في القارة الافريقية ، فالاسلام دين الفطرة ، يدعو الى المساواة ، فلا فرق بين الابيض والاسود ، وقد خطط المستعمرون لمحاربة الاسلام مناهج عديدة منها

١ - محاولة الفرنسيين في بداية الامر التفريق بين المسلمين من بيض وزنوج . ولكنهم فشلوا حيث ان الاسلام لا يعبأ بالالوان والاجناس .

٢ - الغاء اللغة العربية واستبدالها بلغة المستعمر الدخيل .

٣ - محاولة نشر المخدرات والمسكرات وذلك لافساد الشباب وصرفهم عن قضايا دينهم .

٤ - الدعوة الى السفور والاختلاط وذلك لبث الفساد واشغال الناس بقضايا الجنس لتقتل فيهم الرجولة - والفضيلة .



مجموعة من طلبة موريتانيا الذين
يتلقون تعليمهم في مدارس الكويت وهم
موزعون على الكلية الصناعية ومعهد
المعلمين والمعهد الديني ..



فريق من الطلبة الموريتانيين في قاعة
الاستراحة بمساكن وزارة التربية
الكويتية .



يظهر في الصورة بعض من طلبة
جمهورية موريتانيا الاسلامية العربية
وهم يؤدون الصلاة ، ونلاحظ في
الصورة الزي الوطني التقليدي .

المسأوى

التجارة في الحج

السؤال :-

بعث الينا السيد جعفر اسماعيل من البحرين بالسؤال الآتي :-
أنا احترف التجارة ، وقد تعودت السفر الى مكة المكرمة في موسم الحج بقصد التجارة وأداء مناسك الحج ، ومضى على أكثر من عشرين سنة وأنا على هذا الحال ، فهل يكتب لي ثواب الحج في كل مرة من هذه المرات مع العلم بأنني في غنى ويسر عن الكسب في المواسم ؟

الإجابة :-

كان بعض التجار المسلمين - على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يفلقون حوانيتهم ، ويتركون الاشتغال بتجارتهن في موسم الحج ، ويتفرغون لأداء المناسك ظنا منهم ان التكسب بالتجارة يتنافى مع أداء هذه الشعيرة ، وقد لجأ كثير منهم الى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يستفتيه في هذا الشأن ، فنزل الوحي يعلمهم ان الاعمال بالنيات وأن مدار الثواب والجزاء هو الاخلاص ، وانه لا مانع من التكسب في الحج بأى وسيلة من الوسائل المشروعة - تجارة كانت او غيرها ما دام الانسان قد أخلص نيته لله تعالى ، وابتغى بحجه ثواب الله ورضاه كما علمهم القرآن الكريم ان السعي على الرزق عبادة أيضا لأنه طلب لفضل الله والتماس لرزقه .

روى البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا في الجاهلية فتأثموا ان يتجروا في الموسم (امتنع المسلمون عن

التجارة في ايام الحج مخافة ان يحبط ذلك ثواب عبادتهم او يقلل مشوبتهم) فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت الآية « ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم » .

فأباحت الآية الكريمة لهم ذلك مع وجوب تجنب الجدل والرفث والفسوق قال تعالى « الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج » .

الرشوة حرام

السؤال :-

أنا شاب مسلم وأبواى شيخان كبيران ولي زوجة وثلاثة اولاد ، ولا عائل لهم سواى ولا نملك شيئا من حطام الدنيا وقد حفيت قدمائى فى البحث عن عمل فلم اجد ، وأخيرا وجدت من يتوسط فى الحاقى باحدى الشركات ولكنى اشتراط على دفع مبلغ من المال ليشتري به هدية يقدمها الى مسئول فى الشركة بيده الأمر والنهي ، فهل يجوز لي شرعا ان اقترض هذا المبلغ ، وأقدمه لطالبه كي احصل على عمل ؟

س.ع (طرابلس لبنان)

الإجابة :-

الرشوة السافرة والمقنعة محرمة فى الاسلام ، حرام على المسلم ان يدفعها ، وحرام عليه ان يقبلها ، وحرام عليه ان يكون وسيطا فيها بين المعطي والآخذ . هذا فضلا عن ان كل الأديان السماوية والقوانين الوضعية تمنعها منعاً باتاً وتعاقب كل من تثبت عليه ، فهي جريمة

بقلم الأستاذ لطفي ملحس
المدرس بالكلية العلمية الاسلامية في عمان - الاردن

عمير بن وهب

ياشباب الاسلام ان الايمان اذا خالط بشاشته القلوب يحول النار نورا ،
والشياطين ملائكة ، والقساة رحماء ...

كان عمير بن وهب شيطانا من شياطين قريش ، فاتكا لا تؤمن بوائقه ، غضوبا للتوافه ، لم يعرف بحلم ساعة ، فان استعصى عليه مطلب اقتنصه بحد السيف مجابها ، او غادرا ، او خائنا . فلما كرم الله الانسانية بالرسول الاعظم مبشرا ونذيرا اندفع (عمير بن وهب) ينكل بالمؤمنين ، فلقوا منه اشد الايذاء وكذلك من ابنه (وهب) الذي وقع أسيرا في غزوة بدر ، اما الاب فقد افلت من القتل والأسر . . ومضت أيام وأيام على يوم بدر ، وعظماء قريش منكسة رؤوسهم مما لحقهم من الخزي ، والعار ، ومن هول ما فقدوا من ابطالهم ورجالاتهم .

وفي صبيحة يوم تلاقى عمير بن وهب مع صفوان بن امية ، فأخذا يتشاكيان ، ويتحرقان من شدة ما لحق قومهما من الانكسار على يد رجال محمد بن عبد الله ، وقد



ترك صفوان أباه (أمية) قتيلا في ساحات بدر ، واما الآخر ، وهو عمير فيكاد يتمزق
الما على ابنه (وهب) المأسور لدى المسلمين . . . وجرى بينهما حوار :

عمير (وقد بدت على وجهه علائم الاستخفاف بصفوان) : قل لي يا صفوان ،
أراك تبرق وترعد ، وتزمر وتهدد ، فما الذي انت فاعله بعد ان رأيت فيك الرعب ،
يأكل كبلك ، مذ لاقيت ابن عبد الله ، وبعد أن خلفت عند جماعته من بقى لنا من
الإعلام الصناديد؟! . .

صفوان : والله ما في العيش بعدهم خير يا عمير ، ولست أرى بعدهم إلا هما
ملفوفاً بهم ، وحياة مجللة بالعار ، وقوما يرسفون في الذل عند أعدائنا الأشرار ، ولست
أعلم بعد ، أي مخلص ينجينا مما لحقنا ، ومما نحن فيه من آلام .

عمير (وقد لمعت عيناه بالشر) : اجل يا صفوان ان عارنا لا يمحوه الا ان نركب الشر ، ولو في اوعر الدروب ، فنقتل محمدا ، او نقتل دونه ، ونخلص اسرانا العديدين ، ومن بينهم ابني وهب وحيدى ، وفلذة كبدى . .

صفوان : انت لها ، انت لها يا ابا وهب ، انه لا ينقذنا مما نحن فيه سواك ، انك لتغسل عن قومك عار الأبد ، وترفع رؤوسا قد نكسها الذل والكمد ، وتقيم اعوادا قد احناها الهوان ، وترغم الدنيا على التحدث باسمك فى كل مكان . فهيا ايها البطل المغوار ! . .

عمير (وقد اربد وجهه) : وديونى وعيالى يا صفوان ؟

صفوان (مطمئنا عمير) : على ديونك اقضيها عنك ، واما عيالك فليكونوا بمنزلة عيالى ، لا يسعني شيء وأعجز عنهم .

عمير : احقا ما تقول (؟

صفوان : نعم ، نعم ،

عمير : اذن اكنم شأني وشأنك . .

الى المدينة

ومضى عمير لتوه فشحذ سيفه وسممه وانطلق الى المدينة يقصد قتل الرسول ، وهناك فى مسجد الرسول فى المدينة كان نفر من المسلمين يتحدثون الى عمر بن الخطاب عما شاهدوه فى يوم بدر من شجاعة المسلمين ، وجبن المشركين ، وقد اخذوا يسردون اسماء اشخاص من كلا الفريقين ، كل بما قام به من افاعيل ، وقد اخذ الفتى (معاذ بن الجموح) يحدث عما شاهدته بنفسه والله يا ابا حفص ، لقد كنت اعمد الى الرجل بسيفي اضربه ، فاذا برأسه تطير قبل ان يمسه السيف ، ولا يكاد يقترب مني آخر الا وكأنه هو نفسه يقدم عنقه للقتل ، فأيقنت انها ارادة الله ، وان الله لا بد ناصر جنده وبالغ امره .

فقال عمر نعم ، انه ليوم من أيام الله ، واني اعتقد ان له ما بعده ، (وبينما القوم على احاديثهم (البدرية) هذه استلفت انظارهم رجل متوشح سيفه ، وقد ظهر الفدر والشر على وجهه ، فاناخ بعيره على باب المسجد ، وسرعان ما عرفه بطل المسلمين عمر ابن الخطاب (أبو حفص) فقال لجماعته خذوا حذرکم . هذا والله هو (عمير بن وهب) ما جاء الا لشر ، فاقطعوا عليه الطريق . . حتى ادخل الى رسول الله فاعلمه بمجيئه ، فان اذن له بالدخول ، فعليكم ان تحيطوا به ، وتجلسوا عنده ، لانه شيطان رجيم .

عند الرسول الكريم

ودخل عمر الى الرسول ، وحدثه بمجيء الرجل ، فقال النبي (ادخله علي) . فخرج عمر اليه ، فاخذ بحمالة سيفه فى عنقه ، فلببه بها ، ثم قاده الى حيث يجلس الرسول .

فقال عمير : عموا صباحا .

فقال الرسول : لقد اكرمنا الله بتحية خيرة من تحيتك يا عمير ، فالسلام تحية اهل الجنة . ثم قال النبي : وما مجيئك يا عمير ؟

قال عمير : جئت من اجل ابني (وهب) اسيركم .

قال النبي : وما هذا السيف في عنقك ؟

قال عمير : قبحتها الله من سيوف ، وهل اغنت عنا يوم بدر شيئا ؟

قال النبي : اصدقني ما الذي جئت له ؟ .. فسكت عمير .. وتحدث النبي ، فقال : (اسمع يا عمير انك قعدت انت وصفوان بن امية في الحجر) فذكرت ما اصحاب القليب (بئر بدر) من قريش ، وبعد ان تحدثت ما حول العار الذي لحق بقومكما ، تعهد لك صفوان بتسديد ديونك ، واعالة اهلك على ان تجيء جيئتك هذه لقتلي . فشق يا عمير ان الله حائل بينك وبين ما تريد .

اسلام . . .

بهت عمير ، وبعد صمت طويل ، قال : الله . . . اشهد انك رسول الله ، فوالله ان ما ذكرته لم يحضره احد غيري وغير صفوان . . . وانه لم يخبرك به احد غير الله . . . فالحمد لله الذي هداني للاسلام ، واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله . . . ثم وقع مفشيا عليه . . .

ولما افاق قال النبي لاصحابه : فقهوا احاكم في دينه ، واقرئوه القرآن ، واطلقوا له اسيره ومنذ هذه الساعة تحول عمير الفاتك الجبار ، والشيطان الرجيم الى ملاك رحيم ، قد انقلب الى شعلة من الايمان الحي الصادق ، وقد ذكر عن نفسه فقال (اني قدمت المدينة ، وانا عازم على قتل محمد ، ولو حال بيني وبين ذلك اهل الارض قاطبة ، وبقيت على هذا العزم ، فما ان وصلت المدينة حتى القى في روعي ان السماء توشك ان تنقض على الارض ، وخيل الي ان بعيري يسخر مني ، وان الارض قد كرهت ان تحملي . وتبدى لي مسجد الرسول اسيفا متلاصقة ، وخلت كل ذرة من الهواء قد غدت سيفا مشدودا لمحاربتني . وما ان لبني عمر حتى خلتنى بين صخرتين عظيمتين تضغطان عظامي . ولما دخلت على الرسول وجدت من حوله رجالا قد شدت ابصارهم الي ، وان لهما لبريحا يصرع الشجعان غيري ولكنني لم احفل بهم . وحادثت الرسول . . . وقد كان القوم كلما نطق الرسول ، خشعت ابصارهم ، فأريد اغتنام الفرصة ، فاذا بيني وبين الرسول حائل ، واقسم لقد كنت كلما تحسست مقبض سيوفي وجدت حول المقبض عشرات من الايدي كالحديد احسها ، ولكن لا اري اصحابها ، وكلما هممت بذلك رأيت اسيفا وحرابا تسد الفضاء بيني وبين الرسول - وتبدى لي الرسول بعيدا . فأيقنت ان الله حائل بيني وبينه ، كما قال لي ذلك محمد نفسه . . . فلما كذبت على الرسول وما اراني الا كارها للكذب ، ولكنها الحرب خدعة ، واجهني بما كان بيني وبين صفوان فأيقنت ان الأمر جد لا هزل فيه ، فارتج علي وعرضت على عقلي ما انا فيه ، واختبرت نفسي ، وخبرت ما لدى من شواهد ، على صدق محمد فلم اتمالك ان قلت اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله . واضحى قلبي معلقا بمحمد ، وما من احد من خلق الله احب الي قلبي منه .

فتالت

صحف

العالم

الإسلام تجاه تحديات الحياة العصرية

شمل ومحوها

الإسلام تجاه تحديات الحياة العصرية

نشرت مجلة الحوادث اللبنانية تحت هذا العنوان : مقالا مستفيضا نقتطف منه ما يلي :

نعتقد ان مسؤولية مسلمي لبنان مسؤولية بالغة . ان الذي يغلب علينا بتأثير الوضع الطائفي الذي نعيشه في لبنان ، هو التحدث عن الحقوق الطائفية .
وحقوق المسلمين لا تختلف في شيء ، ولا يجب ان تختلف في شيء عن حقوق وواجبات جميع طوائف اللبنانيين .

ولكن الأهم والأعمق من الحديث عن حقوق الطوائف في لبنان اذا شئنا كمسلمين ان نرتفع للمستوى الالهي الانساني للرسالة الاسلامية هو أن نتحدث عن المسؤولية الاسلامية في لبنان والمسؤولية الاسلامية في لبنان هي قبل كل شيء مسؤولية بناء لبنان بكامله بناء جديدا . ومسؤولية صنع المجتمع اللبناني بكامله ، صنعا جديدا .

فهذه المسؤولية ، هي فريضة العقيدة علينا ، بقدر ما هي فريضة المواطنة ، وهي فرض عين لا فرض كفاية . اى ان على كل منا ايا كان ، ان يؤدي واجبه في تحمل المسؤولية عملا بقوله صلى الله عليه وسلم ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)) . وهذا الوعي العميق ، والمتجدد لمسؤوليتنا كبشر ، وكعرب ، وكمواطنين لبنانيين هو الوعي المطلوب منا بصورة خاصة تجاه تحديات الحياة العصرية لنا في لبنان وفي العالم العربي ، وفي العالم كله ، فنتجه في فعاليتنا الفكرية ، والعملية اتجاهين متكاملين : الاتجاه الأول ، هو نحو المشاركة مع سائر المواطنين اللبنانيين في تحضير لبنان وتنظيمه تنظيميا حديثا ، تتبلور فيه الحرية والعدالة معا ، ونتجه في نفس الوقت نحو تحضير وتنظيم مؤسساتنا الاسلامية الخاصة بمختلف فروعها ورفعها الى مستوى العصر الذي نعيش فيه ، والى مستوى الروح الاسلامية الحق . فلا يكفي بعد اليوم أن تكون لنا مؤسسة تربية ، كالمقاصد نعتز بها ونفخر بما ندين به لها ، ولكن هذه المؤسسة لا تحقق اليوم غاية وجودها الا اذا كانت طليعة من طلائع التقدم التربوي لا في لبنان ، او في العالم العربي فحسب ، بل في العالم كله .

ولا يكفي ان تكون لنا مساجد ، وان يكون لنا ائمة ووعاظ في هذه المساجد ، ولكن يجب ان يكون لهؤلاء الوعاظ من الثقافة الدينية والعصرية ومن السمو الخلقي والتشوق الروحي ، ما يجعل مواعظهم ذات معنى لا للجيل الاسلامي الجديد فحسب ، بل ذات معنى ومفردى وتأثير بالنسبة للجيل الانساني الجديد كله .

لماذا نتخلى عن روحانيتنا

المساواة الروحية

ثم لم يحملوها

ونشرت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية كلمة تحت هذا العنوان جاء فيها :

ان الطريق طويلة وشاقة ، والتحالف الطبيعي الذي نراه دائما بين الصهيونية والاستعمار ، حيث يسير الركب الآثم ، وتنطلق المخططات الرهيبة الماكرة ، هو الذي كنا نراه في صدر تاريخنا بين اليهود الوثنيين والمنافقين ، وليس لهذه العقدة الصماء اليوم الا السلاح الذي سحقها بالأمس ، وعبثا يحاول اعداؤنا ان يجعلونا بحربهم النفسية على صعيد ننكر فيه ذاتنا ، ونتخلى عن مقومات وجودنا ، فالأمر أبعد مما يتصورون ، والاحداث الكبيرة التي يترنح تحت مطارقها صلد الصخور لا تزيد المؤمن الا صمودا ورسوخا بما هو فيه ، وصدق انطلاق الى الغاية التي تناديه من اعماقه « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » .

لقد وقفت أمتنا في الماضي سبعين عاما تقارع اولئك الذين غزوا بلادنا تحت شعار الصليبية ، ثم كان لنا ما كان من النصر والتمكين ، لقد ثارت ريح المعارك من اول الطريق . . من اول يوم وطئت هذه الأرض أقدام الغزاة ، ثارت ريحها على كل شبر من أرضنا ، وفوق كل رابية من روايينا ، وفي البحر وعلى كل ساحل ، واشترك فيها تحت راية الاسلام كل قلب وكل عقل وكل ساعد ، وتعطر الثرى بالدماء ، وتوالت قوافل الشهداء ، ولم يهن المناضلون . . . وارتحل الدخيل .

هذا وبعد الذي ذكرت ، انا حين نقف على مستوى الوقائع وما تمليه طبائع الأشياء ، نستطيع ان ندرك الأبعاد التي يعطيها قول الله تبارك وتعالى « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين . ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين . وليلمح الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين . ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » .

هذا جانب من حديثنا مع الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها . . فهل تظل امتنا على خط البناء تحمل القرآن وتتابع الطريق ؟) .

لماذا نتخلى عن روحانيتنا

وكتبت صحيفة الحياة البيروتية تحت هذا العنوان تقول :

زار بيروت الفيلسوف الاميركي بيتر فيريك . وألقى محاضرة في نادي الخريجين ، طرق فيها موضوعا حساسا وخطيرا ، من زاوية فلسفية .

قال فيريك ان الثورة الادبية التي نشهدها الآن في الاتحاد السوفيتي ضد التزمته الحزبي والفكري والمادى ، ليست ثورة عقائدية أو سياسية ، بل هي شبيهة بما يجرى تماما في الولايات المتحدة . فالدولتان قد بلغتا العظمة عن طريق التقدم الآلي . فأصبحت الحياة في كل منهما منظمة تنظيم الآلة . تحت رحمة المادة الصماء والخبراء الفنيين ، وفقدت الحياة انطلاقتها الانسانية الحر ، فجاء الجيل الجديد في روسيا وأميركا يثور الآن على صنمية الآلة والخبراء .

وأضاف الفيلسوف مخاطبا العرب « أنتم في العالم الثالث ، لم تحرركم التكنولوجيا بعد كما حررت أميركا وروسيا ، حتى تشعروا بالحاجة الى ردة من المادة الى الرومانطيقية ! » .

اقف عند هذه العبارة من محاضرة الفيلسوف الشاعر « فيريك » لاتساءل اذا كانت المادة ستضطرنا للعودة الى الروح ، فلماذا نتخلى عن روحنا ، ومن شرقنا نبعت جميع الروحانيات التي انارت ضمائر البشر ، انطفئ نورنا بأنفسنا ، ونعيش في الظلمة ، لنعود بعد ذلك نفتش عن قيس ؟ .

ليسمع من في آذانهم وقر ، وفي عقولهم فراغ ! .

المساواة الروحية

ومن مقال « العدالة الاجتماعية الذي نشرته مجلة رابطة العالم الاسلامي نقتطف الكلمة التالية » : -

المساواة في الاسلام لا تعني بالجانب المادى الضيق وحده ، بل تمتد الى نفوس المسلمين ، وتحررها من كافة صنوف العبودية وترفع معنوياتها ، وتصلق مشاعرها حتى يحس المسلم انه اخو المسلم لا يرهبه ولا يخشى الا الله . وهذا النوع من المساواة النفسية التي أغفلها الغرب هي في نظري مفتاح النجاح الذي أحرزه مبدأ المساواة عندما طبق في المجتمع الاسلامي . فنقطة البداية عندنا ايماننا المطلق برب واحد هو وحده يमित ويحيى ويملك كل أمرنا ، لا يقدر على ذلك أحد غيره ، وليس بيننا وبينه وسيط أو شفيع ، والكل له عبيد مهما علت مراتبهم أو انخفضت مواهبهم . وقد حرص القرآن على تصوير هذه العبودية المطلقة فابرزها حتى بالنسبة للانبياء (قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا) (ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . اذن لاذنك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا) .

وعندما يؤمن المسلمون بهذه المعاني الاساسية في العقيدة الاسلامية يحس كل فرد مسلم باتصال شخصه الضعيف الفاني بقوة الاله القادر الرحيم اتصالا مباشرا لا وساطة فيه ، فيستمد من ذلك شجاعة وعزة تشعره بتساويه مع جميع افراد المجتمع امام الله سبحانه وتعالى ، وقد حرص الاسلام على تقرير هذه الصلة المباشرة بين العبد الضعيف والرب الرحيم حرصا رده القرآن في اكثر من موضع (قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) (واذا سألك عبادى عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعانى فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) .

وعندما يتحرر المسلم من خوف الفقر الا الى الله الرزاق ، وعندما يتحرر من عبودية المنصب فيؤمن بأن الله هو مالك الملك يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، وعندما تسمو روحه عن الخوف على الحياة لأن الله وحده يحيى ويميت ، عندئذ يجتاز المجتمع الاسلامي العقبة الاولى نحو المساواة الحققة ، وعندئذ فقط تعطى التشريعات الاسلامية مفعولها الاكيد لخلق الامة التي وصفها القرآن بأنها خير امة اخرجت للناس .

الى مكة ...

وغادرت المدينة وكل قطرة من دمي قد وهبتها لرب محمد ، ولفداء محمد ، ودين محمد .. فلما رآه صفوان وكان ينتظر قدومه بذهاب الصبر تلقاه قائلاً : مرحبا بالحبيب ، مرحبا بأبي الأبطال وفخر الرجال ، ثم مد ذراعيه ليحتضنه ، ولكن عميرا راح يبتسم في سخريته واضحة ، ثم يقول ويده تجرد السيف من غمده يا صفوان بن أمية .. لقد علمت قريش ان محمدا بن عبد الله من أشرفها بيتا ، واصدقها حديثا ، واعرقها بالأمانة .. ألم تستبشر قريش بمولده يوم ولد ؟ ألم تحكمه في امورها شابا ورجلا ؟ ألم تلقبه بالأمين وهو أعز القابها ؟ هل جربتم عليه كذبا ؟ هل عرفتموه بخيانة ؟

يا قوم ، لقد آمنت بالله ورسوله ، وشهدت واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله . والذي شرف محمدا بالرسالة العظمى لادعون الى الله في اجوافكم ، ولأملأنها عليكم حربا ، او تؤمنوا بالله ورسوله ، وهذا سيفي ، فمن شاء ان تشكله أمه فليلقني بما اكره .. قال هذا ، ومضى الى بيته ..

اما صفوان ، فقد زاغت منه العينان ، وخارت قواه ، وفقر فاه ، وبقي جامدا لا يدري ما يقول .. وبعد أن عاد اليه صوابه سار واصحابه الى البيت الحرام ذاهلين من اقوال هذا الذي كانوا يعتقدون عليه الرجاء في قتل محمد واصحابه الاعداء .. وكان عمير قد سبقهم الى البيت الحرام وهو متقلد سيفه .

يدعو الى الاسلام

وفي البيت الحرام اخذ - وهو كالأسد الهائج - يتلو ما حفظه من الآيات ، فقرأ ما يأتي (ق . والقرآن المجيد . بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم . فقال الكافرون هذا شيء عجيب انذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد . قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ . بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج ، أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) ..

اعرض عنه من اعرض ، واستمع اليه من استمع . فدخل كثير من المشركين في دين الله على يد عمير بن وهب الذي جاهد في سبيله حق الجهاد بعد ان حارب بضراوة ضد الاسلام .

انه عمير الذي ذاق حلاوة الايمان بعد ان رفع راية الشرك والعصيان .. عمير (ابو وهب) الذي وصفه المسلمون أيام الشرك بالشيطان الرجيم ، قد انقلب وهو المسلم المؤمن حقا ، الى ملاك رحيم .

فرضي الله عن عمير بن وهب مجاهدا عظيما وبطلا فذا في الأبطال الخالدين ...

بأقلام القراء

حول تعدد الزوجات

كتب الاستاذ حلمى محمد قاعود من الجمهورية العربية المتحدة تعقيباً على ما نشر في هذا الباب من العدد التاسع تحت هذا العنوان يقول:

للباحثين الاسلاميين اساليب مختلفة في اخراج افكارهم وطرحها على صفحات الكتب أو الجرائد أو التكلم بها شفهيًا . . فبعضهم يميل الى البساطة بحيث يقرأ أفكاره كل مثقف عادى ، وبعضهم يجنح الى العمق والدخول الى الجوهر مع الاحتياج لكل كلمة وكل حرف يذكره في كلامه .

تماماً مثل الثوب القطنى . . والثوب الصوفى . . فان نسيج الاول يختلف عن الثانى . . كما ان مادته تختلف عن مادة الآخر ، ولاختبار النسيجين طرق خاصة يجب ان يلم بها من يريد شراء الثياب والا لوقع فيما لا يرغب . .

وهذا بالضبط ما حدث حين فهم الاخ مصطفى مدنى محمود من جمهوريتنا ، قول العقاد في تعدد الزوجات (العدد ٩ من مجلة الوعى الاسلامى - البريد) .

فهو يذكر ما يفيد ان رأى العقاد لا يسير مع المنطق والعقل وقد ايدته الوعى فى ذلك - والحق ان الاستاذ العقاد رحمه الله عرف عنه انه ذو منهج تحليلي فى البحث يقوم على المنطق والموضوعية ، كذلك عرف عن اسلوبه . . انه اسلوب دقيق ، لكل كلمة فيه وزنها وقيمتها . . وبين يدي كتاب العقاد (حقائق الاسلام وابطال خصومه) . . وقد قرأت الفصل الذى تناول فيه هذا الموضوع وهو بعنوان « الاسرة » فلم اجد سوى دفاع العقاد عن « اباحة تعدد الزوجات » ولم تؤثر فيه حملة الغريبيين على اباحة التعدد . . وقد استشهد على وجود التعدد بدلائل كثيرة لدى الديانات السماوية والوضعية ، وهو مع ذلك يقول ما تقوله « الوعى » فيه ، يقول العقاد : وينبغى ان ننبه

الى وهم غالب بين الجهلاء والمتعجلين من المثقفين ، عن سنن الاسلام في تعدد الأزواج قبل الاسلام .. اذ الغالب على أوهامهم ان الاسلام هو الدين الوحيد الذى اباح تعدد الزوجات او انه اول من اباحه بعد الموسوية والمسيحية « ص ١٧٧ من حقائق الاسلام .. ويمضي العقاد بعد ذلك في بيان كيف كان التعدد مشروعاً قبل الاسلام وفي الشرائع القديمة ..

وعليه فان العقاد لم يكن من الذين أثرت عليهم حملة الفريبيين في اباحة التعدد .. بل هو الباحث الاصيل الذى يتكلم بصدق وموضوعية قلما نجدها عند باحث آخر ..

ويبدو ان الأخ مصطفى لم يمعن النظر في الفقرة التي اوردها من كتاب العقاد ، .. فالمساواة بين العدلين اللذين وردا في الآيتين الكريمتين لم يقل بها العقاد .. بل قال « وكذلك صنع الاسلام بعد اباحة تعدد الزوجات للضرورة القصوى فانه اشترط فيه العدل .. (الى هنا والكلام فيما اعتقد لا خطأ فيه) .. ونبه الرجال الى صعوبة العدل بين النساء مع الحرص عليه .. (وهناك فرق بين الصعوبة والاستحالة) »

**اذا فان العقاد لم يسو بين العدلين !! وعلى ذلك فالصعوبة هنا تقترن بالميل
القلبي الذى قال به الشيخ عمر بن عبد الله .**

ويقول العقاد في موضع آخر من الكتاب نفسه ص ١٧٦ « ان الاسلام لم يمنع الاكتفاء بزوجة واحدة بل استحسنه وحض عليه ، ولم يوجب تعدد الزوجات بل انكره وحذر منه ولكنه شرع لأزواج يعيشون على الأرض ، ولم يشرع لأرواح تعيش في السماء ، ولا مناص في كل تشريع من النظر الى جميع العوارض ، والتقدير لجميع الاحتمالات ، وفي هذه الاحتمالات - ولا ريب - ما يجعل اباحة التعدد خيراً وأسلم من تحريمه بغير تفرقة بين ظروف المجتمع المختلفة او بين الظروف المختلفة التي يدفع اليها الأزواج ... » .

ولعل بعد هذا يتبين لنا الصديق الاسلامي عند العقاد ، فهو من الذين لم تبهرهم الحضارة الغربية ، او اغرتهم بالانشقاق على حضارتهم الاسلامية العظيمة ، فقد وقف عند كل آرائهم وفلسفاتهم نظرة المدقق الباحث لا المستقبل السلبي ، وقد كان رحمه الله يفرد باباً خاصاً في مجلة الأزهر يدفع فيه عن الاسلام التهم والباطيل التي تقال عنه ، ويثبت فيه كذلك كل نصر له وكل انتصار .. وصدر له كتاب بهذا الاسم تحت عنوان « ما يقال عن الاسلام » .

وهذه كلمة اقولها لوجه الحق ، واكتبها لمجلة صاعدة ، اود ان تفسح صدرها ، حتى تكون النتيجة مثمرة وشفافية لكل المتسائلين والقارئین .. والله يهدينا الى الصواب .

الى الحق . . .

وتلقينا هذا النشيد من الاستاذ حسان المجذوب بالمدينة المنورة

الى العصابة المؤمنة التي آلت على نفسها حمل لواء
الاسلام . . في دياجير الظلام . . ولم تخدعها زيوف البراقع
. . فهي مطمئنة للنصر نصر الشهادة . . او نصر المعركة . .

الى الحق هيا شباب الفدا
بظل الامين رسول العلا

لنا سالفات من السؤدد
سهرنا عليها ولم نرقد
لنهدم ما قد بناه العدى
سيوف من العز لم تغمد

سلام ونور على كل من
ونارتدك صروح الفتن

ركبنا المخاطر في كل حين
فنحن الاماني لدينا ودين
صفعنا الطفاة من العالمين
ونحن اسود الثرى والندى

سل المجد عنا وعن عدلنا
ستشرق اوطاننا بالنسى

حسان المجذوب
المدينة المنوره

هيكل المجدد وتاريخ الاسلام

وأرسل الينا الأستاذ محمود زايد بالجامعة الامريكية كلمة تحت هذا العنوان
تناول فيها حياة الاستاذ الكبير المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل بالبحث والتحليل ،
وتعرض لنشأته ، والمؤثرات في حياته العلمية ، والأدبية والحوافز التي حولته الى
الناحية الروحية الاسلامية ، وقد جاء فيها : ((قال الدكتور هيكل)) ، وقد حاولت أن
انقل لأبناء لغتي ثقافة الغرب المعنوية ، وحياته الروحية لنتخذها جميعا هدى
ونبراسا . لكنني أدركت بعد لأى أني أضع البذر في غير منبته ، فاذا الأرض تهضمه
ثم لا تتمخض عنه ، ولا تبعث الحياة فيه .

فانقلب من ثم يلتمس في تاريخ مصر البعيد ، في عهد الفراعنة ، موثلا يستمد منه
الثقافة المعنوية ، والحياة الروحية التي ينشدها . ولكنه وجد أن الركود العقلي قد
قطع الصلة بين ذلك العهد الفابر وحاضر الأمة ، فقرر انه لا يصلح بذرا للنهضة
الجديدة .

ولم يجد بعد هذا مفرا من التحول الى الاسلام ، وتاريخه ، وحضارته ، يلتبس فيه مقومات الحياة المعنوية ، وذلك لكي يخرج بأهله من الجمود الذي سيطر عليهم منذ قرون . وحفزه كذلك الى التحول الى الاسلام حملات الغرب وبعض المستشرقين والمبشرين على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلى تاريخ الاسلام والمسلمين . وتبين ان هناك خطة ترمي الى القضاء على الروح المعنوية في مختلف بلاد الشرق . فحسب ، بل والانسانية كلها . وهداه التفكير آخر الأمر الى دراسة صاحب الرسالة الاسلامية الرسول الأعظم ، الذي جمع شمل العرب ، وأقام صرح الأمة الاسلامية ، ووضع أسس نهضتهم الكبرى .

وكانت ثمرة جهده في هذا السبيل كتاب « حياة محمد » صلى الله عليه وسلم ، وقد شجع كتابه هذا غيره من الكتاب على دراسة تاريخ الاسلام ، والاحتذاء بالمنهج الذي التزمه ، فقد شدد هيكل على ضرورة اتباع الطريقة العلمية في الدراسة كما يفعل الغربيون . فواجب الباحث عنده « الا يثبت مسألة من المسائل ، وألا ينفىها قبل أن يصل من تمحيصه وبحثه الى الاقتناع الذاتي الصحيح بأنه اطمأن كل الطمأنينة ، الى الوقوف فيها على الحقيقة كاملة غير مشوبة بشائبة » فشأن المؤرخ عنده هو شأن العالم في الأمور الطبيعية ، وفي غيرها من العلوم جميعا . وكان هيكل كذلك من أوائل من نبهوا الكتاب الى أن القرآن الكريم هو أصدق مراجع السيرة ، وانه غني بالإشارات الى كل حادث في حياته الشريفة ، وأنه لا بد من أن يمحص الكاتب على ضيائه ، ما ورد في كتب السنة ، وما جاء في مختلف كتب السيرة .

ولم يلبث هيكل ان أدرك ضرورة الاهتمام بالحجاز منزل الوحي ، وموطن الرسول الأعظم . وهاله انصراف الكتاب والأدباء والشعراء عن الديار المقدسة ، وقلة ما كتب عنها مما له قيمة علمية . ووجد أن ما كتبه العلماء الأجانب بعيدا عن تناول الظواهر الروحية التي تغير لها وجه التاريخ منذ أربعة عشر قرنا ، والتي ستظل عاملا خالد الأثر في حياة العالم ما كان للقوة الروحية في توجيه العالم اثر وسلطان .

على أنه عند ما وقف على ما كتب عن موطن الوحي ، شعر بأنه سيظل ينقصه الجوهر ، اذا لم يذهب الى بلاد النبي العربي بنفسه ، ويقف حيث وقف في مختلف مراحل البعثة النبوية الشريفة . فتوجه الى الحجاز ، وأدى فريضة الحج .

وكانت ثمرة هذه الزيارة كتاب « في منزل الوحي » الذي رسم فيه صاحبه صورا دقيقة لمعالم الحجاز غنية بوصف الآثار وأهميتها ، وما بعثت في نفسه من مشاعر وأحاسيس .

واندفع هيكل بعد ذلك يتابع دراساته الاسلامية القيمة ، وأمد القراء العرب بترجماته المعروفة لأبي بكر الصديق وعمر وعثمان رضي الله عنهم جميعا . وبهذا أرخ للفترة الاسلامية الأولى التي كان يرى أنها شهدت وضع القواعد الاسلامية الصحيحة ، كما شهدت ، وحدة المسلمين في ظل الخلفاء الأول .

ولم تكن هذه الأبحاث العظيمة في تاريخ الاسلام ورجالاته - على أهميتها - الا جانبا من نتاج هيكل . فقد ألف في مواضيع أخرى سياسية ، وأدبية وفلسفية واجتماعية . وبقي وفيها لأبحاثه لا يضمن عليها بوقت ولا بجهد ، حتى عندما تقدمت به السن ، وغلبت على جسده العلل . فصح فيه قول معاصر للطبرى المؤرخ :

ما زلت تكتب في التاريخ مجتهدا حتى رأيتك في التاريخ مكتوبا



انصح جارك

تقدم احد اصدقائي لخطبة ابنة جار من جيرانني ، وقد جاءني هذا الجار يستشيرني ، ويسألني رأيي في هذا الصديق ، ولما كنت أعلم عن صديقي الشيء الكثير من النقائص ، والمساوىء الخلقية بحكم اختلاطي به واطلاعي على الكثير من دخائله ، وافشائه لي اسراره ، فأنا في حيرة من أمري ، وفي شدة الحرج الديني ، والديني ، فواجب الصداقة يحتم علي أن أكتب ما أعلم من أمره وان احفظ غيبته ، وحق الجار يتقاضاني ان اطلع جاري على كل ما أعلم ، أداء لحق الجوار ومنعا لحدوث كارثة أراها محققة الوقوع لو تمت المصاهرة بين الطرفين ، وأراني أميل الى أن أقف على الحياد تخلصا من هذا الحرج ، فلا أفصح صديقي ، ولا أنصح جاري ، بل أتجاهل وأطلب منه ان يلجأ الي غيري بحجة ان معلوماتي غير كافية عن الخاطب ، وأن عليه أن يتحرى من طريق آخر ، غير أن قلبي لا يطمئن كل الاطمئنان الى هذا الحل الأخير .

ابعث بهذه المشكلة الى بريد الوعي رجاء ان تنيروا لي الطريق الذي أسلكه حتى ابريء ذمتي وأرضي الله ..

ابو خالد
الكويت - خيطان

يا أبا خالد لقد وازنت في رسالتك بين أمرين ، الاول حفظ غيبة الصديق باخفاء نقائصه ، والتستر على عيوبه ، والثاني اخلاص النصيحة لجارك باطلاعه على حقيقة صديقك ، والاشارة عليه بعدم انفاذ هذه الخطبة وقد رجحت في رسالتك الأمر الثاني ، وهو أن واجبك ، يحتم عليك مصارحة جارك ، بكل ما تعلم منعا لكارثة محققة الوقوع ، لو تمت هذه الخطبة ، وبهذا تكون أنت قد أفقتت نفسك ، وأزلت الحرج الذي يعتلج في صدرك ، ووضعت المصاييح على الطريق الذي تسلكه ، وتبرا به ذمتك وترضي به الله .

والحل الوسط الذي عرضته في رسالتك ، وهو وقوفك موقفا سلبيا ، وفرارك من ابداء النصيحة بالتزام الحياد ، واحالة جارك على غيرك . هذا الحل هو كما قلت لا يطمئن اليه كل الاطمئنان ، بل قد يكون سببا في وقوع الكارثة التي تجزم بوقوعها ، لو تمت الخطبة ، فقد يلجأ جارك الى من يفشه ، ولا يخلص له النصيح ، وهذا السلوك

نوع من كتمان الشهادة ، التي أمر الله باقامتها بالحق ، ولو على الوالدين والأقربين قال سبحانه ((ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه)) وقال ((يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين)) .

ولا بأس عليك ، ولا حرج في الافضاء بعيوب صديقك الى جارك ، فهذا مما رخص الشرع فيه ، وأذن به الله ، بشرط ألا تتجاوز القدر اللازم للنصيحة ، وأن تقتصر على التصريح بالامور التي ترى أنها تمنع من المضي في انفاذ الخطبة ، وبشرط الا يكون قصدك التشهير والانتقام ، فهناك فرق كبير بين الغيبة المحرمة والنصيحة الواجبة التي قال الرسول فيها ((الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله . قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)) .

وأنت يا أخي مستشار والمستشار مؤتمن ، ولن تبرا ذمتك لا بالسلبية ولا بالكتمان .

وقد أباح الله للمظلوم ان يفضي بما يعرف من امور ظالمة ولم يعد هذا غيبة قال تعالى (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) .

ولكي يزداد قلبك اطمئنانا الى هذا الرأي ، أقص عليك ما روى من ان فاطمة بنت قيس ، أخبرت النبي صلى الله عليه وسلم عن اثنين تقدا لخطبتها . فقال لها عن احدهما . انه لا مال له ، وقال عن الآخر انه لا يضع عصاه عن عاتقه . . يعني انه كثير الضرب للنساء .

التربية لا التبني

أنا رجل كبرت سني ، ووهنت عظامي ، ولم أرزق بذرية ، وقد لجأت الى كل الوسائل الطبية المشروعة دون جدوى ، وأنفقت في ذلك أموالا طائلة ، وتزوجت أكثر من زوجة ، ولكن هكذا أراد الله ، وأحس بحنين شديد الى صوت طفل ، يملأ علي البيت ، ويدخل علي السرور ، ويعوضني ما حرمت من الولد ، وكذلك تشعر زوجتي بهذا الحنين ، وتشاركني الرغبة ، وتلح علي في أن احضر طفلا لقيطا من احد المستشفيات ، تحتضنه وتربيته ، ونخصه بجزء من اموالنا . وقد طالعت في مجلتكم الفراء أن التبني حرام في الاسلام ، فهل يوجد لديكم حل لهذه المشكلة النفسية ، التي اعانيها أنا وزوجتي .

اسماعيل الحافظ

عمان

نبادر أولا الى أن نطمئن السيد اسماعيل الى ان مشكلته سهلة ميسورة الحل وأنه يمكن ان يحقق رغبته عن طريق التربية لا التبني ، والفرق بينهما كبير . فمعنى التبني الذي حرمه الاسلام ، ان يلحق الرجل بنسبه طفلا ، او طفلة ليس من صلبه ، ويثبت له كل ما يترتب على البنوة من آثار كالميراث ، وحرمة الزواج ، واباحة الاختلاط الى غير ذلك مما هو معروف . هذا هو الذي حرمه الله ، وقال فيه « وما جعل ادعياءكم ابناءكم » اما ان يضم الانسان اليه طفلا ، سواء أكان لقيطا ، أو يتيما ، أو غيرهما ، ويربيه ، ويحنو عليه ، ويطعمه ، ويكسوه ويعلمه فهذا أمر مشروع اباحه الاسلام ، بل رغب فيه ، ووعد فاعله الثواب الجزيل ، وما دمت يا سيدي لم تلحق هذا الولد بنسبك ، ولم تثبت له حقوق البنوة واحكامها فلا حرج عليك في ان تؤوى الى بيتك من تشاء ، وتعامله هذه المعاملة الكريمة ، وبهذا تروى غلتك ، وتطفئ حنينك ، وحنين زوجتك الى الولد ، واذا أردت أن تمنح هذا الذي ربيته شيئا من مالك في حياتك ، فلك ان تفعل ، ولا حرج ، واذا رغب في أن توصي له بجزء منه بعد وفاتك ، فلا بأس بشرط أن يكون في حدود ثلث التركة .



الكويت

تفضل صاحب السمو أمير البلاد المعظم فأمر بشراء قطعتي الأرض اللتين تقام عليهما المدينتان السكنيتان في مكة والمدينة للحجاج الكويتيين من ماله الخاص ، وقد بلغ ثمن هاتين القطعتين حوالي ثلاثمائة ألف دينار كويتي .

وصرح معالي السيد عبد الله مشارى الروضان وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بأنه سيتم إيفاد عدد من المهندسين والمساحين إلى المملكة العربية السعودية خلال الشهر القادم لإجراء الترتيبات اللازمة فيما يتعلق بالأراضي التي اشترتها الحكومة من أموال حضرة أمير البلاد في السعودية بغية إقامة المباني المخصصة للحجاج .

وقال معاليه أنه سيتم حالياً بناء مقر لأمير الحج وبعض المنازل المتعلقة بسكن بعثة الحج ريثما يتم بناء مدينة الحج خلال هذا العام .

تقيم جمعية المعلمين الكويتية معرضاً للكتاب العربي في أوائل شهر مارس القادم تشترك فيه الدول العربية .

افتتح الاستاذ مصطفى احمد الزرقا استاذ الحقوق المدنية بجامعة دمشق الموسم الثقافي لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية فألقى محاضرتين : فكرة مجمع الفقه الإسلامي ، والفقه الإسلامي مزاياه وخصائصه .

وقد استمع إلى الاستاذ المحاضر عدد كبير من الشباب ورجال الفكر وكان في مقدمة الحاضرين بعض كبار المسؤولين .

القاهرة

يعد المجلس الأعلى للفنون أول مشروع للتعريف بالشريعة الإسلامية واهدافها وأوجه الشبه والخلاف بينها وبين الشرائع الدولية المختلفة وذلك على مستوى دولي .

يقوم المجلس بترجمة عن الكتب والبيانات المختارة إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية تحقيقاً لهذا الغرض .

ترجمت منظمة اليونسكو ٣ كتب أصدرها هذا العام وزير الأوقاف السابق د . محمد البهي عن « التامين - الإسلام ونظم الحكم المعاصر - الفكر الإسلامي المعاصر » إلى الإنجليزية والفرنسية . تجرى أيضاً ترجمتها إلى اللغة الألمانية .

بعث الدكتور احمد حلمي شاهين السكرتير العام بالهلال الأحمر إلى لجنة الفتوى في الأزهر يسألها رأي الشرع الإسلامي في التطوع بنقل الدم .

وقد أجابت اللجنة بأن التطوع بنقل الدم جائز بشرط أن تكون صحة المنقول منه قوية وأن يكون الدم خالياً من الأمراض المعدية حتى لا تنتقل العدوى إلى غيره .

تدرس وزارة الأوقاف مشروعاً بإنشاء مراكز دائمة لتحفيظ القرآن الكريم في بلاد العالم الإسلامي لتخريج أكبر عدد من حفاظ القرآن من أبناء هذه البلاد .

السعودية

أعلنت الحكومة السعودية أن ميناء ينبع قد تم إعداده من الناحيتين البحرية والفنية لاستقبال السفن على اختلاف حمولتها .

كما تم إعداد جميع الترتيبات الكفيلة بتوفير الراحة للحجاج في ينبع حيث أقامت مدينة للحجاج على الطراز الحديث .

ويستقبل الميناء الحجاج القادمين من شمال البحر الأحمر الراغبين في الزيارة قبل الحج حتى ٢٥ من ذي القعدة على أن تكون عودتهم بعد أداء الفريضة من ميناء جدة .

ويستقبل ميناء جدة الحجاج القادمين من جنوب البحر الأحمر والقادمين من الشمال بعد ٢٥ من ذي القعدة على أن تكون عودتهم بعد الزيارة من ميناء ينبع .

العراق

أعلن رسمياً أن مجموع سكان العراق بلغ ثمانية ملايين ومائتين واثنين وستين نسمة بزيادة حوالي مليوني نسمة عن تعداد ١٩٥٧ .

اذاع راديو بغداد تصريحاً للرئيس العراقي عبدالسلام عارف نفي فيه ما تردد بأن العراق ينوي الانضمام إلى حلف إسلامي في الشرق الأوسط .

الأردن

زار جلالة الملك فيصل البلاد بدعوة من صاحب الجلالة الملك الحسين واستغرقت الزيارة اسبوعاً ومرحبا بهذه الزيارات الكريمة التي توثق العلاقة الاخوية بين العاهلين الكبارين العظميين . . . والشعبين الكريمين .

اكتشف فريق من علماء الآثار العرب والغربيين مبنى يرجع تاريخه إلى عام ٦٨٠ ق.م ويقع هذا المنزل في قرية بيرا بالقرب من « البترا » المدينة الاثرية القديمة . وقد عثر داخل المبنى على عظام لحيوانات وبعض الآلات البدائية كما وجدت بعض القواقع التي تعيش في البحرين الأبيض المتوسط والأحمر .

أندونيسيا

تتلقى المنظمات التبشيرية في اندونيسيا كثيراً من الدعم المادي والسياسي من دول أوروبا وأمريكا فقد نشرت إحدى الصحف اليومية الاندونيسية بأن المانيا الغربية تبرعت للمبشرين بمركبين لنقلهم بين جزر اندونيسيا وان استراليا تبرعت بـ ٥٪ من حاصل مبيع سيارات هولدن ولحقتهم أمريكا فبنت من تبرعها السنوي لطائفة الادفينست مستشفى بجزيرة نياس بسومطرة تعد من أحدث المستشفيات بالشرق الأقصى بعد أن سبق لها تبرع آخر من نوعه في بندونغ وفي كديري بجاوا الشرقية مع العلم ان المستشفيات من الوسائل التبشيرية الهامة التي تستخدمها الحركة التبشيرية العالمية .

نيجيريا

أصدر الميجور حسن كاسينا الحاكم العسكري لاقليم نيجيريا الشمالية ، أكبر الاقاليم الثلاثة في اتحاد نيجيريا ، أمراً بإلغاء جميع الاحتفالات بعيد الفطر حداً على الحاج أحمد وبيللو وأبو بكر تيفاوا باليوا رئيس وزراء الاتحاد الذي عثر على جثته ملقاةً في بركة قرب لاجوس ، وكان الذين قاموا بحركة التمرد الأخيرة قد اختطفوه من منزله مع وزير المالية الذي قتل هو الآخر .
وقد دفن باليوا قرب موطن أسرته في بلدة « بوشي » في نيجيريا الشمالية ، وحضر مراسم الدفن مئات من المواطنين .

الجزائر

أعلن السيد عبد القادر حاج علي الأمين العام لوزارة العدل انه سيتم خلال هذا العام تعريب النظام القضائي في البلاد .

أخبار متفرقة

صدر العدد الأول من مجلة أفريقيا المسلمة "جمعية" الإسلامية في شمال أفريقيا مجلة ومعالجة الموضوعات الإسلامية

صدر بعض الطلاب الألمان الذين سموها صوت الإسلام للرد على والاذاعة .

صدر في ألمانيا الغربية مجلة كثرية اسمها بالالمانية "Wadst - turn" وترجمتها بالعربية (بوح الحراسة) والصادر في 1 نوفمبر 1965 في مهاجر إيران الكريم انه من وضع البشر واستندلت على ذلك من مصادر يهودية صهيونية وهذا وأن مجلة تصدر بجميع اللغات الأجنبية والعربية ولها مراكز عديدة في العالم للتوزيع .

سيقوم رئيس الاتحاد الفدرالي الإسلامي في ألمانيا الدكتور عبد الخالق القاضي بجولة علمية حول العالم خلال العام التالي 1966 ، واجين له التوقف في الكويت في الشهر الماضي .

بدأ اتحاد الطلبة المسلمين في أوروبا بالتخصير للمؤتمر السنوي الذي يعقده كل عام حيث تجتمع فيه وفود من الطلبة المسلمين في أوروبا يتناولون فيه شؤونهم الخاصة ويعرضون فيها صوراً من نشاطهم الإسلامي كما يدرسون المخطط السنوي للعمل الإسلامي في العام القادم . . .

واصلت العصابات الصهيونية حملات الأرهاب والاضطراب على السكان العرب في فلسطين كما أنزلت من منازلهم .

واصلت العصابات الصهيونية حملات الأرهاب والاضطراب على السكان العرب في فلسطين كما أنزلت من منازلهم .

واصلت العصابات الصهيونية حملات الأرهاب والاضطراب على السكان العرب في فلسطين كما أنزلت من منازلهم .



0.1